المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الخمسين

١ مايو (ايار) سنة ١٩١٧ — الموافق ١٠ رجب سنة ١٣٣٥

الحياة بعد الموت

ومناجاة الارواح (تابع ما قبلهُ)

لم يكتفِ السر اوليفر لدج بتناول اخبار ابنهِ من الوسطاء الذين كانت زوجتهُ تستخبرهم بل استعان هو بهم على التكلم مع ابنهِ لشدة اقتناعهِ بصدقهم. ففي ٢٩ اكتوبر ذهب الى بيت وسيط اسمهُ بيترس ولم يكن بيترس يعرف مَن هو على قولهِ بل اخذه اليهِ صديق لهُ اسمهُ رِهل لكي يتوسطهُ في الكلام مع رجل ميت. فرقعت الغيوبة على بيترس حسب العادة واذا بشاب تجلّى لهُ وجعل يكلمهُ وليترس هذا مرشد اسمهُ مونستون فقال ان الذي تجلّى لهُ هو ابن السر اوليفر لدج. وهاك ما دار من الكلام بين بيترس الذي كان يتكلم بلسان مرشدهِ وبين السر اوليفر لدج على ما كتبهُ لدج

بيترس للدج — ان الاسلوب المعقول الذي تناولتَ بهِ هذا الموضوع قد شجعهُ لكي يعود اليك كما نعلم ولو لم يعلم ما اخبرتهُ بهِ لتعذَّر عليهِ ان يأتي اليك. وهو كثير التروي فيما يقول ويعلم ما يقول اتعرف F. W. M. (وهي الحروف الاولى من اسم الاستاذ ميرس)

لدج — نعم اعرفهُ

بيترس — اني ارى هذه الاحرف الثلاثة وهل تعرف S. T. المرسومة بعدها

لدج — نعم S. T. ثم نقطة اراانيها ابنك

لدج — نعم فهمت (اردت اني فهمت اشارتهُ الى قصيدة ميرس عن سنت بول) (مار بولس)

بيترس — يقول لي انهُ ساعدهُ كثيراً اكثر مما تظن اي F. W. M.

لدج — بارك الله فيهِ

بيترس — ضحك ابنك وهو يقول ان لهُ غرضاً آخر ابعد من ذلك. لا نظن ان الامر مقصور على ذكر مساعدته لهُ كلاَّ بل هو يريد انك تتمكَّن بسالتك الادبية من التغلب على هؤلاء الجهلاء وتجعل الجمعية مفيدة للناس. افهمت (يريد جمعية المباحث النفسية)

لدج — نعم

بيترس — ويقول الآن هكذا «لقد ساعدني لانهُ يستطيع بواسطتك ان يهدم السد الذي اقامهُ الناس وبعد ذلك ستكلمهم انت. وهذا امر مقرَّر وستزيل انت الحاجز بيني». ثم قال «بالله عليك يا ابي افعل ذلك لانك لو عرفت ورأيت ما ارى. فان مئات من الرجال والنساء شقَّت مرائرهم ولو نظرت الجنود عندنا وقد بعدوا عن ذويهم لتناولت هذا العمل بكل جهدك وانت قادر عليهِ» اراهُ يتكلم بحدة. وهو يرغب — كلاَّ لا بد من منعهِ لا اريد ان يتحكم في وسيطهِ لا يقدر ان يقوم بالعمل الذي يريد عملهُ لئلاَّ يمرض الوسيط ولا بدَّ لي ان افيهُ لان التهيج يزيد على احتمالهِ وعلى احتمالك ولذلك لا بدَّ لي من ان امنعهُ من التكلُّم فيهِ. هو يفهم ولكنهُ يطلب مني ان اخبرك بذلك لقد شعر بالفشل التام لما ذهب ولم يكن الموت ليخطر لهُ ببال وهذا الفشل احزنهُ حزناً شديداً. قال ذلك وصمت هنيهة ثم قال هذا زمن شقَّت فيهِ القشور عن الرجال والنساء. فشور العُرف وقلة الاكتراث شقَّت وصار كل احد يفكر ولو كان البعض مغترّين بانفسهم

ولنعُدْ اليهِ ما اصيرهُ. لم يكن لبلاً صبوراً كما هو الآن. بعد اليأس بارقة الامل لانهُ رأى انهُ يستطيع العودة اليك لان جدَّتهُ جاءت اليهِ ثم أُتي باخيهِ وعُرِّف بهِ ثم جاء غيرهُ. بيرس. قال بيرس اتفهم معنى ذلك. بيرس جاءهُ فعلم انهُ يستطيع الرجوع. نعم علم ذلك والآن طلب مني ان اقول لك انهُ منذ موته الذي هو واحد من الوف العمل الذي — عليَّ ان اعبّر عن افكاره بالكلام لانني لا اسمع منهُ كلاماً ملفوظاً — العمل الذي تطوَّع لهُ. كلاَّ ليس هذا المراد العمل الذي انتظم في الجيش لاجلهِ هذا ما يقولهُ انهُ كان واحداً فقط وظهر كانهُ فُقد لكن موتهُ سيكون وسيلة للسير في عملهِ. هذا هو المراد اي ان مئات كثيرين سينتفعون بموتهِ. انتهى باختصار

وقد فهم السر اوليفر لدج من ذلك ان الاستاذ بيرس برَّ بوعدهِ لهُ وساعد ابنهُ وخفف المصاب بهِ حسب اشارتهِ الى قصة فونس والشاعر. ثم انتقل الى حادثة قال ان فيها دليلاً قاطعاً على إتيان الوسيط بما لم يكن يعلمهُ هو ولا احد من الحضور معهُ وذلك دليل قاطع على ان روح ريمند اخبرتهُ بهِ. والحادثة هي ان ريمند تصوَّر مع جماعة من الجنود

رفاقهِ صورة فوتوغرافية قُبيل وفاتهِ ولم يرسل منها شيئاً الى اهلهِ ثم اشار اليها احد الوسطاء ووصفها وصفاً بيناً من غير ان يكون قد رآها او رآها احد من الذين معهُ . قال السر اوليفر واول من اشار الى هذه الصورة الوسيط بيترس في بيت ممرز كندي في ٢٧ سبتمبر سنة ١٩١٥ . فانهُ قال للادي لدج من لسان مرشدهِ مونستون « عندكم صور كثيرة لهذا الفتى عندكم صورة حسنة منهُ قبلما ذهب صورتان كلاً ثلاث صور ، صورتان تصوَّر فيهما وحدهُ وواحدة مع جماعة غيرهِ وقد طلب مني ان انبهكم الى ذلك بنوع خاص . تروت عصاهُ في واحدة منها » قال ذلك واشار كأن عصاً تحت ابطهِ

ثم قال السر اوليفر لدج ان عندنا صورة فوتوغرافية لهُ وحدهُ بثيابهِ العسكرية ولم نكن نعلم انهُ تصور صورة اخرى فوتوغرافية مع جماعة فارتابت لادي لدج في صحة هذا الكلام حاسبةً ان بيترس ذكرهُ على سبيل الحزر . اما انا فاستوقف نظري قول بيترس ان ريمند طلب منهُ ان ينبهنا الى ذلك بنوع خاص فبحثت عن هذه الصورة فلم اسمع شيئاً عنها الاَّ بعد شهرين فانهُ جاءنا كتاب في التاسع والعشرين من توفمبر من ممرز تشيڤس ام الكبتن تشيڤس الذي كان يعرف ريمند وقد اخبرنا عن الجرح الذي اصابهُ وقضى عليهِ وهذا نص كتابها

عزيزتي لادي لدج — ارسل الينا ابني صورة جماعة من الضباط صُوِّرت في اغسطس ولا اعلم هل عرفت بهذه الصورة وهل عندك نسخة منها فان لم يكن عندك منها فهل تسمحين لي ان ارسل اليك نسخةً لان عندنا ست صور مع اسماء الضباط الذين فيها وارجو ان تعذريني على تطفلي هذا لانك كثيراً ما خطرت على بالي بعد ما اصابك ما اصابك بفقد عزيزك

المخلصة ب ب تشيڤس

فكتبت اليها لادي لدج حالاً تشكرها وترجو منها ان ترسل اليها الصورة سريعاً ولكن الصورة تأخر وصولها وقبلما وصلت كنت عند ممرز ليونارد في بيتها في ٣ دسمبر استنبئها عن ابني فسألتها عن الصورة لكي استوضح وصفها قبلما اراها . وهاك مسائلي واجوبتها عن لسان فدى مرشدتها

لدج — لقد ذكر قبلاً صورة فوتوغرافية تصوَّر بها مع غيرهِ ونحن لم نرها حتى الآن فهل يريد ان يقول شيئاً آخر عنها

الوسيطة — نعم ولكنهُ لا يظن انهُ اشار اليها هنا وينظر الى فدى وقال لها لم اقل ذلك لكِ

لدج — نعم اصاب ليس هنا ولكن ايقدر ان يقول اين اشار اليها

الوسيطة — قال انهُ لم يشر اليها بواسطة المائدة

لدج — كلاَّ

الوسيطة — ليس هنا مطلقاً ولا يعلم بواسطة مَن اشار اليها وكانت الاحوال غريبة وكان البيت غريباً

لدج — هل تتذكر الصورة

الوسيطة — يظن ان كثيرين تصوروا معهُ لا واحداً ولا اثنين بل كثيرون

لدج — أكانوا اصدقاءك

الوسيطة — يقول ان بعضهم كانوا اصدقاءهُ وهو لا يعرفهم كلهم جيداً ولكنهُ يعرف بعضهم وسمع عن البعض . لم يكونوا كلهم اصدقاء

لدج — ايتذكر كيف منظرهُ في الصورة

الوسيطة — كلا لا يتذكر كيف كان منظرهُ

لدج — الم يكن احد واقفاً

الوسيطة — لا يظن . كان البعض جالسين في دائرة مرتفعة اما هو فكان جالساً تحت والبعض كانوا مرتفعين وراءهُ وهو يظن ان البعض كانوا واقفين والبعض كانوا جالسين

لدج — اكانوا كلهم جنوداً

الوسيطة — يقول نعم وهم خليط وكان واحد منهم اسمهُ C وواحد اسمهُ R واسمهُ ليس مثل اسمهِ لم يكن B اخر K, K, K, وقال شيئاً عن K وذكر رجلاً يبتدئ اسمهُ بحرف B ولفظ لفظاً غير واضح مثل بري او برني

لدج — اني سألتهُ عن الصورة لاننا لم نرها حتى الآن وسترسل الينا قريباً وكل ما تعملهُ من امرها انها موجودة

الوسيطة — يظن انهم كانوا اثني عشر او اكثر تظن لدى ان الصورة كبيرة اما هو فلا يظن ذلك بل كانوا محشورين بعضهم مع بعض

لدج — أكان معهُ عصاً

الوسيطة — لا يتذكر بل يتذكر ان واحداً اراد ان يتكئ عليهِ ولكنهُ لا يتذكر هل صورت الصورة وهذا يتكئ عليهِ وانما يتذكر ان واحداً حاول ان يتكئ عليهِ والذي اعطاك هو الاخير وكان B موجهاً في الصورة الاخيرة ولم تصوَّر في محل التصوير العادي

لدج — أصورت خارجاً

صورة ريجند مع جماعة من الضباط وتحتهُ حرف (ر)

مقتطف مايو ١٩١٧

أمام الصفحة ٤٣٠

الوسيطة — نعم تقريباً (ثم قال ماذا تعني بقولك · نعم تقريباً · اصورت خارجاً ام دخلاً اتعني انعم · فدى تظن انهُ اراد نعم لانهُ قال تقريباً

لدج — قد يكون التصوير في سترة

الوسيطة — قد يمكن اجتهد لتري فدى صورة المكان · اراني وراء الصورة خطوطاً كأنَّ هناك حائطاً اسود عليهِ خطوط (وجعلت فدى ترسم خطوطاً في الهواء) انتهى

وكانت لادي لدج تنظر في يومية ريمند في ٦ دسمبر فرأت انهُ كتب فيها في ٢٤ اغسطس انهُ تصور صورة فوتوغرافية · اي انهُ تصور قبل وفاتهِ بواحد وعشرين يوماً ولا بدَّ من مضي ايام قبل طبع الصورة فيحتمل انهُ رآها قبل موتهِ ولكن من المؤكد انهُ لم يشر اليها في كل مكاتيبهِ الينا وكنا نجهل امرها كل الجهل ولم تذكر لنا الاَّ حديثاً ولم تصل الينا الاَّ في ٧ دسمبر · (وكان لدج قد بعث بخلاصة ما سمعهُ من الوسيطة الى جمعية المباحث النفسية قبلما وصلت الصورة اليهِ لكي يقابل بها حين وصولها)

ووصلت الصورة بين الساعة الثالثة والرابعة بعد ظهر السابع من دسمبر وهي كبيرة طولها ١٢ بوصة وعرضها ٩ بوصات وكانت مكبرة من صورة اصغر منها طولها ٧ بوصات وعرضها ٥ بوصات وفيها صور واحد وعشرين شخصاً خمسة منهم في الصف المقدَّم وهم مقرفصون على العشب وريمند منهم وهو الثاني من الطرف الايمن · وسبعة في الصف الثاني الذي وراء الصف المقدم وهم جلوس على الكراسي وتسعة وراءهم وقوف امام بناء خشبي يشبه ان يكون سترة مستقل او شيئاً بين نحو ذلك · وكل ما ذكرهُ ريمند ينطبق على هذه الصورة قمهُ عصاهُ وقد القاها امامهُ وفي سقف السترة التي وراءهُ خطوط كما اشارت فدى · والمصوَّرون خليط من اوربا مختلفة · والشخص الموجه في الصورة هو الضابط الواقف الى اليمين لان النور مشرق عليهِ واسمهُ يبتدئ بالحرف B وهو الكبتن S. T. Boast · وليس بينهم احد يبتدئ اسمهُ بحرف K ولكن بينهم ضابطاً يبتدئ اسمهُ بحرف C الذي يلفظ هناك كافاً · والبعض جلوس والبعض وقوف · والمكان خارج البيت

وادلُّ ما في الصورة ان راحداً جالساً الى يسار ريمند متكئ بيدهِ على كتفهِ · ويظهر على ريمند انهُ لم يكن مرتاحاً الى ذلك لانهُ اضطر ان ينحني الى جانبهِ الايمن · وليس في الصورة احد متكئ غيرهُ ولا يبعد ان هذا الامر اثر في ريمند وبقي في ذهنهِ

واورد السر اوليفر لدج نص ما كتبهُ الشهود الذين شهدوا ان الصورة لم تصل اليهِ

الاَّ بعد ما كتب وصف الوسيطة . ثم كتب الى الذين صوروا الصورة يسألهم عنها فاجابوهُ انهم ارسلوها الى الكبتن بوست وان الصورة السلبية ارسلها اليهم الكبتن بوست في ١٥ اكتوبر سنة ١٩١٥ . وكان الوسيط بيترس قد اشار اليها في ٢٧ سبتمبر اي قبلما وصلت الصورة السلبية الى انكلترا

وسئل الكبتن بوست عن هذه الصورة فاجاب في ٧ مايو سنة ١٩١٦ ان جماعة من الضباط طلبوا من مصور في الصيف الماضي ان يصورهم وكان بيت المصور قد ضرب بالقنابل فهجرهُ ولم يكن لديهِ المواد اللازمة لطبع الصور فارسلنا السلبيات الى انكلترا لتطبع فيها بعد ما رأينا مسوداتها المطبوعة عنها

وكتب السر اوليفر لدج الى الكبتن بوست يسألهُ هل رأى ابنهُ هذه الصور فاجابهُ ان المصور ارسل اليهِ مسودات الصور (البروفات) فوصلت بعد ما تصوروا بيومين او ثلاثة وهو يعتقد ان ابنهُ رآها ثم وجد ان ليس عند المصور ورق يطبع الصور عليهِ فابتاع السلبيات منهُ وارسلها الى مصور في محل للتصوير في انكلترا ليطبعها . وعاد ابنهُ الى الخنادق في ١٢ سبتمبر فالمرجح انهُ رأى المسودات ولكنهُ لم يرَ السلبيات

ووجد السر اوليفر لدج ان السلبيات ثلاث فيها شيء قليل من الاختلاف اهمهُ ان الرجل المتكئ يدعم على كتف ريمند في احداها رفع يدهُ عن كتفهِ في صورة اخرى وقد عدَّ مسألة هذه الصورة دليلاً قاطعاً على صحة الانباء من عالم الارواح وانهُ لا يحتمل ان يكون قد وقع فيها غش بوجه من الوجوه لان الوسيط بيترس اشار الى الصورة ووصفها في ٢٧ سبتمبر قبلما وصلت الى بلاد الانكليز بثمانية عشر يوماً وان الاختلاف القليل في الصور من حيث وضع يد احد الضباط على كتف ريمند يفسر قولهُ لفدى انهُ لا يتذكر هل صُوِّرت الصورة وهو متكئ عليهِ وانما يتذكر ان واحداً حاول ان يتكئ عليهِ

وعندنا انهُ يحتمل ان المصور اعطى فخًّا من هذه المسودات لبعض اصحاب الجرائد المصورة فصوروها او لبعض اصحاب الصور المتحركة فشبهها الى صورهم . ويخطر لنا الآن اننا رأينا هذه الصورة مطبوعة في جريدة فرنسوية مصورة او معروضة مع الصور المتحركة . وما اكثر الخادعين اذا وجدوا من يسهل عليهم خدعهُ ولا يبعد ان يكون قد حدث للسر اوليفر لدج وزوجتهِ ما حدث للمستر سند لما خدعهُ المصور وصوَّر معهُ رجلاً من الترنسفال فاعتقد ان صورة هذا الرجل لم تكن معروفة في بلاد الانكليز ثم ثبت انها كانت معروفة ومنشورة ايضاً . الاَّ ان ادلة السر اوليفر لدج لم تنتهِ كما سيجيء في الجزء التالي

الثورة الروسية

لم يقع في تاريخ البشر مثيل لهذه الحرب في اتساع نطاقها وهول حوادثها واستخدامها لكل العلوم الرياضية والطبيعية وكل ما انشأه الانسان من المعامل والمصانع في كل مراكز العمران ومشاركة النساء للرجال فيها في اشق الاعمال كسبك المدافع وحشو القنابل وسوق المركبات . وقد ترتب عليها حتى الآن حادثان من اعظم الحوادث واغربها الاول الثورة الروسية التي ثلّث عرش بيت رومانوف او كادت تثلمهُ والثاني دخول جمهورية الولايات المتحدة الاميركية في حرب اوربية كما سيجيء

اما بيت رومانوف قياصرة الروس فقد نشرنا تاريخهُ بالتفصيل في المجلد السابع والثلاثين من المقتطف في فصول متوالية عن حرب القرم ضمّناها خلاصة تاريخ روسيا السياسي والاجتماعي من اول عهدهِ الى هذا العصر وما ينطوي عليهِ من الحسنات والسيئات . ولم يكن في حسباننا ولا في حسبان احد فيما نظن ان يكون من اول نتائج هذه الحرب ثل عرش ذلك البيت المجيد او نقض الحكم المطلق وابداله بحكم نيابي مقيد جمهوري او غير جمهوري

ويظهر من الاخبار المقتضبة التي جاءت حتى آخر مارس عن هذه الثورة انها عامة اشترك فيها الجيش ومجلس النواب (الدوما) والشعب ولا يستثنى منهم الاَّ المتطرفون من حزب العمال الذين يقال انهم فوضويون . وحتى الآن كانت الثورة سلمية على نوع ما لم يسفك فيها الاَّ القليل من دم الاعداء . ابتدأت في پتروغراد في العاشر من شهر مارس ففي ذلك اليوم وهو يوم سبت اجتمع جمهور كبير من العمال شاكين من قلة الخبز الذي يعطى لهم ومن عدم الانصاف في توزيعهِ فحاول رجال البوليس تفريقهم بالسلاح فقتل كثيرون منهم ومن الشعب المتفرج عليهم . ورأى بعض جنود الحامية ذلك وهم يعلمون ان الشعب جائع والطعام موجود ولكن لا وصول للشعب اليهِ لانهُ محتكر اما لان الذين احتكروهُ تجار يقصدون الربح بارتفاع اسعارهِ او لانهُ محجوز لغرض سياسي حجزهُ صنائع الالمان من وزراء الروس لكي تعلو شكوى الشعب و يثور على حكومتهِ فتضطر روسيا الى الاستسلام وطلب الصلح — رأى الجنود ذلك وأبَوا ان يطلقوا الرصاص على الشعب فابوا وشاركوا الثائرين وشاع ما فعلوهُ في العاصمة كلها فانتشر انتشار النار في الهشيم واشتركت الحامية كلها في الثورة وانضمت الى مجلس النواب وشاركتها اكثر الجنود المحاربة . فجمع رُدزيانكو رئيس مجلس النواب اثني عشر من الزعماء والف منهم حكومة وقتية برياسة البرنس لاڤوف ذات

انها ستدعو الامة كلها للاقرار على نوع الحكومة التي تختارها . ثم كلفت القيصر التنازل عن عرشهِ فتنازل . ونشرت الحكومة الوقتية منشوراً على الشعب الروسي خلاصتهُ

اولاً العفو العام حالاً عن كل الجرائم السياسية والدينية وذلك يشمل الافعال العدائية التي يقصد بها الارهاب و يشمل ايضاً الفتن العسكرية والجرائم المتعلقة بالزراعة

ثانياً اطلاق حرية اللسان والقلم ومنع كل حجر على حرية الاجتماعات وجمعيات العمال والمتعصبين منهم . واشراك الضباط والجنود في هذه الحرية على قدر ما تسمح بهِ القوانين العسكرية

ثالثاً الغاء كل الفوارق او القيود الاجتماعية والدينية والجنسية

رابعاً المبادرة الى اعداد المعدات اللازمة لجمع جمعية عمومية دستورية تقرر الشكل الذي تختارهُ الحكومة البلاد والدستور الذي تختارهُ لها و يكون ذلك على مبدإ الانتخاب العام

خامساً ابدال البوليس بجند محلي ينتخب ضباطهُ انتخاباً و يكون خاضعاً للمجالس المحلية

سادساً يكون الانتخاب المحلي مبنياً على قاعدة الانتخاب العام

سابعاً ان الجنود الذين اشتركوا في الثورة لا تنزع اسلحتهم منهم ولكن لا يسمح لهم بمغادرة پتروغراد

ثامناً تلغى كل القيود التي تحرم الجنود من الاشتراك في الحقوق الاجتماعية الممنوحة لغيرهم من السكان واما النظامات العسكرية المرعية فلا يلغى شيء منها

هذا ولا شبهة ان الحكم الروسي القديم كان حكماً مطلقاً او استبدادياً محضاً ثم تدرّج نحو الحكم المقيَّد ولكن تدرُّجهُ هذا لم يكن سريعاً كما يطلب الذين تعلموا وتهذبوا من الروس وهم فئة كبيرة فكانت هذه الفئة تطلب المزيد . والظاهر انها كانت ارقى من اكثر ولاة الامور فلم يستطيعوا مجاراتها ولا استطاعت هي ان ترضخ لاساليبهم فحبست او نُفيت او هاجرت . ومن هذه الفئة البرنس كروبتكن الكاتب الروسي الشهير المعروف لدى قراء المقتطف بمقالاتهِ العلمية والادبية التي كان ينشئها باللغة الانكليزية و ينشرها في مجلة القرن التاسع عشر . وقد اخبرنا الذين لقوهُ من اولادنا في البلاد الانكليزية انهُ شيخ جليل القدر رحب الصدر واسع العلم لا يتوقع لبلادهِ فلاحاً الاَّ اذا قُوِّضت دعائم الحكومة المطلقة منها وأبدلت بحكومة دستورية . ولعلَّ امثالهُ كثيرون في البلاد ولكن مهما كان عددهم كثيراً فانهم لا يزالون اقل من القليل في بلاد سكانها ١٨٠ مليوناً من شعوب وامم مختلفة لا تجمعها جامعة واحدة لا جنسية ولا دينية ولا لغوية

ليصر روسيا وابنهُ وبناتهُ الاربع وهو وابنهُ وسائر الرجال الذين معهم بثياب القوزاق الروسية

المقتطف مايو ١٩١٧
امام الصفحة ٤٢٤

طرائف من ادب العرب

من الكشكول للعاملي

(٢)

هرون الرشيد بين الكحل والطيب

« قال مسلم بن الوليد يمدح ابن مزيد الشيباني

تراهُ في الامن في درع مضاعفةٍ لا يأمن الدهرَ ان يدعى على عجلِ
لا يعبق الطيبُ خديهِ ومفرقهُ ولا يمسّ عينيهِ من الكحلِ

ويقال ان هرون الرشيد لما سمع هذا البيت وفهم انهُ لمن وفيمن طلب ابن مزيد فأحضر وعليهِ ثياب ملونة ممصّرة (١) فلما نظرهُ الرشيد في تلك الحال قال أكذبت شاعرك يا مزيد . قال فيم يا أمير المؤمنين . قال في قولهِ في الامن الخ . فقال لا والله ما اكذبهُ وان الدرع عليّ ما فارقتني وكشف ثيابهُ فاذا عليهِ درع . فامر الرشيد بحمل خمسين الف دينار الى مزيد وخمسة آلاف دينار الى مسلم . ويقال انهُ لما سمع البيت قال منعتني الطيب وامرتني (٢) باقي عمري فما رئي بعد ذلك ظاهر الطيب ولا مكحلاً . ويقال انهُ كان اعطر الناس في زمانهِ وكان يقول الله يني وبين مسلم حرمني احبّ الاشياء اليّ » انتهى

مطارحة الشعراء

اقول : ومسلم هذا من معاصري ابي نواس . يحكى انهُ لما انشد يزيد بن مزيد البيتين المذكورين لم يعجباهُ فقال لهُ ألا قلت كما قال اعشى بكر في عمرو بن معديكرب

واذا تجيءُ كتيبة مكروهة ملمومة يخشى العدوّ نزالها
كنت المقدّم غيرَ لابس جبةٍ بالسيف تضرب مقدماً ابطالها

فقال مسلم قولي أحسن من قولهِ انهُ وصفهُ بالحرق وانا وصفتك بالحزم

وعلى ذكر مسلم لا باس ان انقل ما حدّث بهِ دعبل الشاعر قال انهُ اجتمع هو ومسلم وابو الشيص وابو نواس في مجلس . فقال لهم ابو نواس ان مجلسنا هذا شهر باجتماعنا فيهِ . ولهذا اليوم ما بعدهُ فليأتِ كل واحد منكم باحسن ما قال فلينشدهُ . فانشد ابو الشيص قولهُ

(١) اي حمراء او صفراء (٢) اي منعتني الكحل وليست في التاج وكلّ ما فيهِ مرمت العين اي خلت من الكحل فجعل الرشيد من ذلك فعلاً متعدياً كما عدّى روّبَ فعل كرثَ وفي القاموس أكرث

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي متأخرٌ عنهُ ولا متقدَّمُ
اجد الملامة في هواك لذيذةً حبًّا لذكرك فليلمني اللوَّمُ
واهنتني فاهنت نفسي صاغراً ما من يهون عليك ممن يكرمُ
اشمت اعدائي فصرت احبهم اذ كان حظي منك حظي منهمُ

قال فجعل ابو نواس يتعجب من حسن الشعر حتى ما كاد يقضي عجبهُ ثم انشد مسلم ابياتاً من شعره الذي يقول فيهِ

فأقسم أنسى الداعيات الى الصبا بميتاً وقد فاجأت والسِّتر واقعُ
فظلَّت بايديها ثمارَ نحورها كايدي الاسارى اثقلتها الجوامع (١)

قال دعبل فقال لي ابو نواس هات ايا علي وكأني بك قد جئتنا بام القلادة فانشدتهُ

اين الشبابُ وايةً سلكا ام اين يطلب ضلَّ ام هلكا
لا تعجبي يا سلمَ من رجل ضحك المشيب برأسهِ فبكى
يا ليت شعري كيف صبركما يا صاحبيَّ اذا دمي سفكا
لا تطلبا بظلامتي احداً قلبي وطرفي في دمي اشتركا

ثم سألناهُ ان ينشد فانشد ابو نواس ابياتاً منها

فاخرِ يا قوتة والكاس لؤلؤةٌ في كفِّ جارية مشوقة القدِّ
تسقيك من عينها خمراً ومن يدها خمراً فما لك من سكرين من بدِّ
لي نشوتان والندمان واحدة شيءٌ خصصت بهِ من بينهم وحدي

فقاموا كلهم فسجدوا لهُ فقال أفعلتموها العجمية لا كثَّركم ثلاثاً ولا ثلاثاً ولا ثلاثاً ثم قال تسعة ايام في هجر الاخوان كثير وفي هجر بعض يوم استصلاح للفساد وعقوبة على الهفوة . ثم التفت فقال أعلمتم ان حكيماً عتب على حكيم فكتب المعتوب عليهِ الى العاتب « يا اخي ان ايام العمر اقل من ان تحتمل الهجر »

ودعبل هذا كان شاعراً مجيداً لكنهُ كان هجَّاء هجا الرشيد في حياتهِ بابيات اهونها

هيهات كل امرئٍ رهن بما كسبت لهُ بداهُ نخذ ما شئت او فذر

وهجا ثلاثة من الخلفاء بعدهُ وهم المأمون والمعتصم والواثق . وكان يقول « انا احمل خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة لست اجد احداً يصلبني عليها »

وغريب من اصحاب ابي نواس ان يسجدوا لهُ في ابيات هي وراء ابيات ابي الشيص

(١) القيود والاغلال

وابيات دعبل براحل في حسن ديباجتها ورقة معناها . فان ابا نواس على علو كعبهِ في الخمريات لا تعدُّ ابياتهُ هذه في الطبقة الاولى بل لا أغالي اذا قلت ان بعض ما قال ابن الفارض في الخمر على قلة جيّدهِ احسن منها كقولهِ من قصيدتهِ المشهورة :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل ان يخلق الكرمُ
ولولا شذاها ما اهتديت لحانها ولولا سناها ما تصوّرها الوهمُ

وغنيٌّ عن البيان ان كلام ابن الفارض مجازيٌّ في شربهِ ومدامتهِ وسكرهِ وسائر ما هنالك لانهُ انما اراد خمرة الروح لا الخمرة الحقيقية التي ارادها ابو نواس والتي هاجرها فتى ومعاقرها مجنون كما قال ابن الورديّ

نفي الشيء بايجابهِ

هذا وبينا مسلم المذكوران آنفاً يستشهد بهما البديعيون على نوع من انواع البديع المعنوي يسمونهُ نفي الشيء بايجابهِ . وتعريفهُ ان ينفي متعلق امر عن امر فيوهم اثباتهُ لهُ والمراد نفيهُ عنهُ ايضاً كما نفي عن متعلقهِ نحو « يُسبِّح لهُ فيها بالغدوّ والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » . فان قولهُ لا تلهيهم تجارة الخ يوهم ان لهم تجارة غير انهم لا يلتهون بها . والمراد انهم لا تجارة لهم ليلتهوا بها . ومن ذلك قولهُ لا يسألون الناس الحافاً اي لا سؤال منهم اصلاً فلا الحاف

وقول دعبل :

لا يعبق الطيب خديهِ ومفرقهُ ولا يمسّ عينيهِ من الكحلِ

يوهم ان ممدوحهُ يتطيب ويتكحل والمراد انهُ ليس كذلك لانهُ غنيٌّ بريحهِ الطبيعية وكحلهِ عن الطيب والكُحل الصناعيين

ومثل ذلك قول المتنبي :

افدي ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صيغ الحواجيب
ولا خرجن من الحمّام مائلةً اوراكهنّ صقيلات العراقيبِ

وهذان البيتان في تفضيل البدويات الرعايب ساكنات البادية على الحضريات ساكنات المدينة . فقولهُ في البدويات انهن لا يخرجن من الحمام صاقلات عراقيبهنّ يوهم ان عندهن حمامات ولكنهن لا يخرجن منها على تلك الحال . والحقيقة ان لا حمامات عندهن كما هو معلوم

الدعوة المستجابة

« نوف البكالي — قال رأيت امير المؤمنين عليًّا كرم الله وجههُ ذات ليلة وقد خرج من

فراشهِ فنظر الى النجوم فقال يا نوف أراقد انت ام رامق قلت بل رامق يا امير المؤمنين قال يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة اولئك قوم اتخذوا الارض بساطاً وترابها فراشاً وماءها طيباً والقرآن شعاراً والدعاء دثاراً ثم قرضوا الدنيا قرضاً [1] على منهاج المسيح عليهِ السلام . يا نوف ان داود النبي عليهِ السلام قام في مثل هذه الساعة من الليل فقال انها ساعة لا يدعو فيها عبد إلا استجيب لهُ الاَّ ان يكون عشاراً او عريفاً او شرطيًّا او صاحب عرطبة او صاحب كوبة . العشار الذي يعشر اموال الناس . والعريف النقيب والشحنة . والشرطي المنصوب من قبل السلطان . والعرطبة الطبل . والكوبة الطنبور »

الموسيقى والغناء

« علم الموسيقى علم يعرف منهُ النغم والايقاع واحوالها وكيفية تأثير الصوت واتخاذ الآلات الموسيقية . وموضوعهُ الصوت من جهة تأثيرهِ في النفس باعتبار نظامهِ . ولا مانع شرعاً من تعلُّم هذا العلم وكثير من الفقهاء كان مبرّزاً فيهِ . نعم الشريعة المطهرة منعت من عمليتهِ والكتب المصنفة فيهِ انما تفيد اموراً علمية فقط . وصاحب الموسيقى العلمي يتصور الانغام من حيث انها مسموعة على العموم من اي آلة اتفقت وصاحب العملي انما يأخذها على انها مسموعة من الآلات الطبيعية . هذا وما يقال من ان الالحان الموسيقية مأخوذة من نسب الاسطكاكات الفلكية فهو من جملة رموزهم اذ لا اصطكاك في الافلاك ولا قرع ولا صوت » انتهى

ومما قرأتهُ في هذا المعنى

قال النبي (صلعم) لعائشة أهديتم [2] الفتاة الى بعلها قالت نعم . قال فبعثتم معها من يغني قالت لا . قال او ما علمت ان الأنصار قوم يعجبهم الغزل . ألا بعثتم معها من يقول

أتيناكم أتيناكم فحيّونا نحييكم
ولولا الحبّة السمرا ما نحلل بواديكم

وقال لأبي موسى الاشعري لما اعجبهُ حسن صوتهِ لقد اوتيت مزماراً من مزامير آل داود . قال عاصم ويقال انهُ كانت لداود النبي معزفة يضرب بها اذا قرأ الزبور تجتمع عليهِ الجن والانس والطير فيبكي ويبكي من حولهُ واهل الكتاب يحدون هذا في كتبهم

(١) اي عدلوا عنها وتركوها (٢) الظاهر انها نقل آتيانا من احاديث العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ان يحذفوا همزة الاستفهام وصل الاستفهامية فيسألوا من غير ان ينطقوا بها كأنهم يعتمدون على قرينة الصوت في الاستفهام

وجاء في المحاضرات : قال صاحب الموسيقا [1] السماع كالروح والخمر كالجسد فباجتماعهما يتولد السرور . وقيل حق الصوت الحسن ان يعاد اربع مرات الاول بديهة والثاني تفهم والثالث للشرب والرابع للشبع »

وكان اليونان القدماء يعتقدون بوجود تسع الاهات للشعر والموسيقى وسائر الفنون الجميلة من بنات زفس من زوجه نيموسين . وكان لمن غناء يأخذ بمجامع القلوب ويخلب الالباب ووحي في الشعر يفعل فعل السحر حتى استعان بهن ملتن في مطلع « فردوسه المفقود » واستنزل وحيهن . وكذلك كان الرومان القدماء يعتقدون بوجود ثلاث الاهات مقيمات بقطن سواحل صقلية فاذا مر بهن بحرية في سفنهم شنفوا آذانهم بالخانهن المطربة الشجية حتى نسوا اهلهم واوطانهم وبقوا حيث هم يسمعون الغناء المطرب ولا يأكلون ولا يشربون فيفضي بهم ذلك الى الموت جوعاً . ومن يصورن يشكل النساء في نصف ابدانهن الفوقاني وشكل السمك في نصفها التحتاني

فوائد لغوية

« مما جاء مخففاً والعامة تشددهُ الرباعيّة للسن وصحيحها رباعيّة وكذا الكراهيّة والرفاهيّة وفعلت كذا طاعيةً في معروفك . ومن ذلك الدُّخان والقَدُوم يقولون دخّان وقدّوم . ومما جاء ساكناً والعامة تحركهُ حلْقة الباب وحلَقة القوم وليس في كلام العرب حلَقة بفتح اللام الاَّ حَلَقة الشَّعْر جمع حالق نحو كفرة جمع كافر . ومما جاء مفتوحاً والعامة تكسرهُ الكتّان والعقّار والدّجاج وقَصّ الخاتم . ومما جاء مكسوراً والعامة تفتحهُ الدِهليز والإنجحة والضِفدع . ومما جاء مضموماً والعامة تفتحهُ طُلاوة . ومما جاء مفتوحاً والعامة تضمهُ الاثمِلة بفتح الميم واحدة الاناميل . ومما جاء مضموماً والعامة تكسرهُ المُصران جميع مصير » انتهى

وفي القاموس الدجاج مثلثة الدال والفتح افصح . وفي مصر يقولون فراخ مكانها ويلفظون قَص صحيحة بفتح القاف . اما لفظة طُلاوة فيفتحها العامة والخاصة في احاديثهم . واما الأُثمِلة فليست مما تداوله ألسن الخاصة فضلاً عن العامة في ايامنا ولعلها كانت متداولة في زمانه . وهكذا الرباعية والكراهية بخلاف رفاهية ودخان وقدوم وحلقة وكتان وعقار فانها كثيرة التداول . اما المصران (جمع مصيراي المعى) فيستعملهُ اهل الشام مفرداً جمعهُ مصارين والحقيقة انهُ جمع مصير كما تقدم ومصارين جمع الجمع . ولو شاء كاتب هذا الزمان ذكر كل ما يلحن بهِ الخاصة دون العامة في كلامهم ما وسعتهُ بطون الاوراق

(١) وردت في المحاضرات مذكرة ومكتوبة كذا كما وردت مؤنثة في الكشكول

الملك الاديب

« حكي ان عبد الملك بن مروان جلس يوماً وعنده جماعة من خواصه واهل مسامرته فقال ايكم يأتيني بحروف المعجم في بدنه وله عليّ ما يشاء . فقام اليه سويد بن غفلة فقال انا لها يا امير المؤمنين فقال هات قال : انف بطن ترقوة ثغر جبهة حلق خد دماغ (وعدّها الى الياء فكتتي بما تقدم) والسلام على امير المؤمنين . فقام بعض اصحاب عبد الملك وقال يا امير المؤمنين انا اقولها في جسد الانسان مرتين فضحك عبد الملك وقال لسويد اما سمعت ما قال قال نعم انا اقولها ثلاثاً فقال له لك ما تتمنى فقال انف اسنان اذن . بطن بصر يد (وعدّها الى الآخر) ثم نهض مسرعاً وقبل الارض بين يدي عبد الملك فقال والله ما نزيد عليها اعطوه ما تمنى ثم اجازه وانعم عليه وبالغ في الاحسان اليه »

وعبد الملك هذا خامس خلفاء بني امية واديب عصره لم يبزّه في الادب الاّ الحجاج احد عمّاله وهو في الأمويين كالمأمون في العباسيين . قال الشعبي احد كبار علماء الكوفة المعاصرين له ما جالست احداً الاّ وجدت لي عليه الفضل الاّ عبد الملك بن مروان فاني ما ذاكرته حديثاً الاّ وزادني فيه ولا شعراً الاّ وزادني[1] فيه » . ومن قرأ كتاب الزجر والانذار الذي بعث به الى الحجاج رأى من آيات البلاغة ما لم يرَ مثله في كتاب الاّ كتاب الحجاج ردّاً عليه . ومع بعد غوره في الادب رأى — ورأيه الموفق — ان تعد امامه اعضاء البدن على حروف المعجم مثنى وثلاث !

اللسان بين الجوارح

« ان لسان ابن آدم يشرف على جميع جوارحه كل صباح فيقول كيف اصبحتم فيقولون بخير ان تركتنا الله الله فينا ويناشدونه ويقولون انما نثاب ونعاقب بك » اه

وليس بين جوارح الانسان اي اعضائه جارحة اطال كتاب العرب في وصفها اطالتهم في وصف اللسان الاّ ان يكون القلب . ومن اقوالهم المرء باصغريه قلبه ولسانه . اما كتّاب الغرب فيوأوا العين مقعد اللسان بعد القلب . ومن ابلغ ما قال كتاب الانكليز « العين مرآة النفس » اي انها تنمّ على ما وراءها في مخادع نفس المرء ومطاوي جبلّته من شيم واخلاق

(تقيب)

---

(١) والمشهور زادني بلا واو لان الجملة الفعلية الماضية الواقعة حالاً بعد الاّ تجرد من الواو وقد وجوبًا الاّ نادرًا . قال الامام عليّ « ان الكوفة تقبة الاسلام لبأ تيها يوم لا يبقى مسلم الاّ وحنّ اليها »

٥

العدوى بالحيوانات

من المسائل التي اتجهت اليها افكار الاطباء في هذا العصر علاقة الحيوانات بالامراض . فالحيوانات من الوجهة الطبية ذات منافع للناس اذ تستخدم في كثير من التجارب لمعرفة تأثير السموم والامراض مثلاً وفي التشريح للمقابلة بينها وبين الانسان . وكذلك يستخرج منها المستحضرات الواقية والشافية كالمصل واللقاح مما كان لهُ شأن كبير في الطب الحديث . ثم انها ذات مضار عظيمة لانها تنقل المكروبات الى الناس فتصيبهم بها وما زال هذا شأنها منذ القدم كما يؤخذ من البيان التالي

ذكر فلوطرخس « ان سكان سواحل البحر الاحمر يصابون بداء عقام ينشأ عن افعى صغيرة تسعى من تحت الجلد لتقرض الذراعين والساقين ثم تعود من حيث اتت اذا حدث ما يقلقها . وهي تسوم صاحبها الماً مبرّحاً » ولعلهُ اراد الدودة المعروفة بالعرق المدني التي ورد وصفها في الصفحة ٦٧٥ من المجلد ٣٧ من المقتطف

وكان الاقدمون يعزون دود الامعاء بوجه خاص فصحروا لهُ مجالاً واسعاً في طبهم . وعرف داء الكَلَب منذ بحو الفي سنة . وقال قرُّو الايطالي من علماء القرن الثاني قبل المسيح ان الحمى الملارية تنقل بواسطة بعض الحشرات

ثم جاء جنر في القرن الثامن عشر فبحث في علاقة الحيوانات بامراض الانسان وكان من ذلك بحثهُ المشهور في علاقة بعض الانسان بجدري البقر . وكثير من امم المباحث الطبية الحديثة كالعدوى والمناعة والوقاية والتلقيح ابتدأ من ذلك الوقت

وفي عهد باستور زادت علاقة امراض الحيوانات بامراض الناس وضوحاً فبحث مباحثهُ المشهورة في البثرة الخبيثة والكَلَب . وبحث فيطن في التدرن . وكوخ في البثرة الخبيثة والتدرن . ولفلر في السقارة وبولنجر في بعض امراض المواشي التي تصيب الناس . وكان هذا العهد موسوماً بالمكتشفات العظيمة في البكتريولوجيا (علم المكروبات) فوضع فيهِ اساس المبادئ التي جرت بهذا العلم شوطاً بعيداً حتى بلغ مكانتهُ الحالية

وتلا عصر البكتريولوجيا عصر علم البروتوزوى[1] . بدأ هذا العصر يوم اكتشف ثيو بولدسمث سنة ١٨٨٩ المكروب الذي كان سبباً لحمى المواشي في تكساس فقرر هو وكلبورن

(١) اي الحيوانات الدنيا المؤلفة من خلية واحدة او خريطات قليلة

بعد ذلك بقليل ان هذا المكروب ينتقل من جسم الى جسم بواسطة قراد الموشي . وكان باستور قد اثبت سنة ١٨٦٤ ان وباء دود القز في فرنسا مسبَّب عن نوع من انواع البروتوزوى فكان ذلك اول اكتشاف عظيم في هذا الباب . واكتشف لافران سنة ١٨٨ مكروب الملاريا فظنهُ من اصل نباتي . والذي جعلهُ يظنُّ هذا الظن اشتهار علم البكتريولوجيا في زمانهِ حتى ساد اذهان العلماء ولاسيما ان معرفتهم للاحياء المكرسكوبية التي من اصل حيواني كانت ضئيلة

واهمية اكتشاف سمث وكلبورن قائمة بالمبدإ الذي تنطوي عليهِ طريقة انتقال المكروبات بالقراد وبالادوار التي مرَّت فيها في اجسام القراد والتغيرات التي طرأت عليها بواسطة المكروبات قبلما صارت اجسامها صالحة لنشر العدوى . وهذه المشاهدة فتحت باب بحث جديد في علاقة الحيوانات بامراض البشر مما افضى الى بعض الاكتشافات العظيمة الشان كعدوى الملاريا والحمى الصفراء وغيرهما من امراض الاقاليم الحارة بوجه خاص

وهاك جدول اشهر الامراض التي تنتقل الى الناس بواسطة الحيوانات كبيرة كانت ام صغيرة فيرى منها كثرة هذه الامراض وخطرها وبالتالي اهمية البحث الذي يدور عليها

﴿ الكلاب ﴾ : تنقل داء الكَلَب وداء الفم والظلف وبعض امراض الديدان المعوية والكبدية والدموية . والدودة الوحيدة وتضخم المخاط في الاطفال (وهو ينتقل بواسطة براغيث الكلاب) والقوباء والقرَع وغير ذلك

﴿ البقر ﴾ : تنقل السلّ (التدرن) والجمرة وجدري البقر والتنوس (بواسطة القراد) وداء الفم والظلف . والكَلَب . وحمّى الباراتيفويد

﴿ الخيل ﴾ : تنقل السقاوة . والكَلَب . والتنوس

﴿ الخنازير ﴾ : تنقل التريخينا . والسلّ . والجمرة

﴿ الغنم ﴾ : تنقل الجمرة . والسلّ

﴿ المعزى ﴾ : تنقل حمّى مالطة . والسلّ

﴿ الغزلان ﴾ : تنقل داء النرم

﴿ القطط ﴾ : تنقل الكَلَب . والقرع

﴿ الجرذان ﴾ : تنقل حمّى عضة الجرذ . والطاعون الدبلي (بواسطة البراغيثها) والتريخينا

﴿ الناجيب ﴾ : تنقل الطاعون الدبلي
﴿ البغاء ﴾ : ينقل تفلرنزا البغاء
﴿ السمك ﴾ : ينقل الدودة الوحيدة
﴿ البعوض ﴾ : ينقل الحمّى الصفراء . والملاريا . وحمى الدنج
﴿ البراغيث ﴾ : تنقل الطاعون الدبلي . وتُحدث الطحال في الاطفال
﴿ القراد ﴾ : ينقل عدة انواع من الحمى
﴿ القمل ﴾ : ينقل التيفوس . والحمى الراجعة
﴿ البق ﴾ : ينقل الحمى السوداء (الكالازار)
﴿ الذباب ﴾ : ينقل داء النوم . والتيفويد . والرمد وغيرها
﴿ الحمار ﴾ : ينقل التيفويد
﴿ الحلزون ﴾ : ينقل البلهارسيا

هذا وان علاقة الحيوانات الدنيا بامراض الانسان على نوعين فاما ان تكون على منتهى البساطة واما ان تكون على منتهى التنوع والاختلاط . والجسم يعدى بطريق الجلد والرئة والفم . ومن الامراض ما لا يدخلهُ الاَّ باسلوب واحد ومنها ما يدخلهُ باساليب مختلفة . ولنبحث الآن في اساليب الإعداء او انتقال المكروبات من جسم الى جسم ويمكن جمعها تحت ستة بنود وهي :

(١) قد يعدى الانسان من حيوان مريض بمجرد لمسهِ والعدوى قد تكون مباشرة من مفرزات جرح في الجلد او مفرزات الفم والرئة والامعاء كما يرى في السفارة والجمرة وجدري البقر . وقد لا تكون مباشرة اذ كثيراً ما يتفق ان يحمل المكروب من مسافات بعيدة متدرجاً من الحيوان الى الانسان فقد حدثت عدة اصابات بالجمرة في احدى مدن إنكلترا حديثاً وبعد البحث والتحقيق وجد انها جاءت من استعمال فرشات مصنوعة من شعر حيوانات كانت مصابة بالجمرة

(٢) قد ينتقل المكروب المعدي من انسان الى انسان او من حيوان الى انسان بالطعام او بواسطة حيوان وسيط كما في التيفويد والدوسنطاريا والكوليرا . والحيوان الوسيط فيها هو الذباب وقد يكون الحمار واسطة لنقل مكروب التيفويد . ويقال ان داء الفم والظلف ينتقل بواسطة الكلاب من مسافات بعيدة

(٣) قد ينتقل المكروب بالعض كما في الكلب والامراض الحادثة من لدغ الحشرات كالتيفوس الحادث من لسع القمل وداء النوم الحادث من لسع الذبابة المعروفة به

(٤) قد ينتقل المكروب الى الانسان من اكل حيوان مصاب بمرض معدٍ ولا يبعد ان ينتقل المكروب من بقرة مصابة الى الانسان بهذه الطريقة ولكن ذلك نادر . والثابت ان الانسان يصاب بالدودة الوحيدة بواسطة بعض الحيوانات الدنيا

(٥) قد ينتقل المكروب المعدي الى الانسان بواسطة مفرزات الحيوانات المصابة . وتحت هذا البند يدخل بعض اشهر الامراض التي تصيب الانسان . فالحمّى المالطية تنتقل اليه بواسطة لبن المعزى المصابة وبولها ومكروب الملاريا ينتقل اليه بطريق الغدد اللعابية في بعوض الانوفيل . وكثيراً ما ينتقل مكروب التدرن الى الناس وخصوصاً الاولاد من بقرة مصابة به بواسطة لبنها . ومما يذكر في هذا الصدد مرض الحَلَق الوافد فقد تفشى اكثر من ثلاثين مرة وظهر للباحثين ان سبب تفشيه في بعض الاحيان تلوّث اثداء البقر الحلوب بمكروبه منتقلاً اليها من ايدي حالبي البقر . وقد وجد بعض الباحثين مكروب الدفتيريا في ثدي بقرة مقرّح وكان يشرب لبنها بعض العائلات فتفشت الدفتيريا فيهم . ولما كان اللبن من اكثر الاطعمة شيوعاً فقد كان سبباً في نقل كثير من الامراض المعدية من الحيوانات الى الناس

(٦) قد يدخل المكروب المعدي بدن حيوان من الحيوانات الدنيا فتمرّ عليه فيه ادوار معلومة ثم ينتقل الى جسم انسان بواسطة عضة او لدغة من الحيوان المشار اليه . وطريقة العدوى هذه تشمل كثيراً من الامراض الناشئة عن البروتوزوى ويمكن قسمتها الى قسمين (١ : الاحياء او المكروبات) التي تنتقل من الانسان الى انسان بواسطة حشرات صغيرة كانتقال مكروب الملاريا بواسطة بعوض الانوفيل ومكروب الحمى الصفراء بواسطة نوع آخر من انواع البعوض . (٢) المكروبات التي تنتقل من حيوان الى انسان بواسطة هذه الحشرات كانتقال التريبانوزوم من الغزال او الكلب او السمدان بواسطة نوع من الذباب وكانتقال مكروب البلهارسيا الى الانسان بواسطة الحلزون فقد ثبت من مباحث الكولونل ليبر في هذا القطر ان الدودة المعروفة علمياً باسم Schistosoma haematobium والتي هي سبب البلهارسيا تخرج من الانسان المصاب بهامع بوله وتدخل بدن حلزونة وتنقلب فيه على ادوار معلومة قبلما تبيت قادرة على اصابة انسان آخر . فاذا مرّت بتلك الادوار

فالغالب ان تدخل جسم انسان آخر مع ماء الشرب وقد تدخلهُ بطريق الجلد . وثبت ايضاً ان استئصال هذه الآفة يتوقف على ابادة الحلزون الذي تقيم فيهِ . وهذا مناقض لمذهب لوس المشهور

ومما يستحق الذكر في هذا الموضوع اربعة امور اخرى عظيمة الشأن في مقاومة كثير من هذه الامراض

(١) ان الحيوانات الدنيا قد تكون الوسيلة الوحيدة لتفشي بعض الامراض . ففي الملاريا تدلُّ جميع الدلائل على أن بعوض الانوفيل وحدهُ هو الذي ينشر هذه الحمى في حين ان بضعة اصناف منهُ تنزل مكروب الحمى على الرحب والسعة في ابدانها . ومثل هذا يقال في الحمى الصفراء فان بعوض الستيجوميا هو وحدهُ الموكل بنشرها فيما يعلم

(٢) ان نقل مكروبات مرض ما قد يكون منوطاً ببضعة انواع من الحيوانات الدنيا لا نوع واحد فقط . فالكلب مثلاً ينتقل بواسطة الكلاب والقطط والذئاب والخيل وغيرها من الحيوانات . والجمرة بواسطة الغنم والبقر وغيرها . والطاعون الدبلي بواسطة الجرذان والسناجب

(٣) قد يكون الحيوان واسطة لنقل مرض ما من غير ان يصاب بهِ اي ان مكروب هذا المرض قد يكون شديد الفتك بالانسان ولا يؤذي الحيوان الذي ينقله . خذ مثلاً لذلك حمى مالطة فان هذه الحمى كثيرة الشيوع في سواحل بحر الروم تنتقل الى الناس من شرب لبن المعزى . والغالب أن تكون المعزى صحيحة الجسم لا عرض عليها من اعراض المرض ومع ذلك ترى لبنها و بولها ودمها مشوبة بمكروبات هذه الحمى . وكذلك قد تعيش مكروبات التيفويد في امعاء الذباب فيُعدي الناس بها ولا يُعدَى . وتعيش مكروبات التدوس شهوراً في امعاء الفرس فيعدي الانسان بها ولا يعدى

(٤) قد يكون الحيوان واسطة لنقل مرض ما ويصاب هو بهِ . فالفرس يصاب بالسقاوة و ينقلها الى الانسان والكلب بالكلب والخروف بالجمرة و ينقلانهما الى الانسان ايضاً . وكلما اشتدَّ الداء بالحيوان الناقل للكروبات تحت هذا الباب وافضى بهِ الى الموت العاجل كان ذلك خيراً للناس ودفعاً للبلاء عنهم لانهُ يزيل مصدر الخطر باسرع ما يمكن . لذلك كانت حمّى مالطة صعبة المراس يعسر استئصالها لعدم ظهور اعراضها في المعزى الناقلة لها . وهذا القول يصح في الامراض المستعصية المزمنة . فالسقاوة الحادة في الخيل اهون مراساً من المزمنة لانها تستأصل مصدر الخطر وتقلل فرص العدوى . وزد على هذا كلهِ

انهُ يغلب في الامراض الحادة القتالة ان تموت المكروبات الشديدة السمّ العظيمة الخطر بموت الحيوان المصاب وتبقى الضعيفة التي لا يخشى كثيراً منها

والغالب ان تكون امراض الحيوان التي تصيب الانسان مضرّة به على ان منها ما ينفعهُ اذ استخرج منهُ لقاحاً واقياً لهُ كما في جدري البقر والكلَب . وقد يصاب الملقحون احياناً بما سمي مرض المصل وهو ردّ فعل يعقب الحقن بالمصل مدة او بضع مرار في الاشخاص الشديدي الاحساس وقد يقف عقبة في سبيل استعمال المصل مدة طويلة في الامراض المزمنة فتبطل بذلك منفعة المصل . والمعروف ان نجاح المعالجة بالمصل اقتصر حتى الآن على الامراض الحادة التي لا تقتضي معالجة طويلة فلا خوف فيها من رد الفعل المذكور

وهناك امراض مشتركة بين الانسان والحيوان اي ان الفريقين يصابان بها على حدّ سوى وليس ثمة دليل كافٍ يدلّ على ان الحيوان يعدي الانسان بها . منها مرض الفم والظلف فلم تعرف حتى الآن حادثة واحدة من هذا الداء اصيب الانسان بها بالعدوى من الحيوان

واذا بحثنا في الامراض التي يعدي بها الانسانُ الحيوان او الحيوانُ بعضهُ بعضاً وجدناها قليلة في جنب ما يعدي به الحيوانُ الانسان . فالفرس يُعدى بالكلَب من الكلب . وبالجمرة احياناً من الغنم والبقر ولا يكاد يصاب بالسلّ . وفي الاقاليم الحارة يصاب بامراض ينقلها اليهِ الذباب والقراد ولكنها ليست كثيرة كامراض الانسان التي تنقلها هذه الحشرات . ويظهر ان البقر اكثر عرضة للامراض من الخيل واقلّ من الناس . ولكلّ من الكلب وسائر الحيوانات التي ذكرت آنفاً امراض خاصة بها لا تتوقف في انتقالها اليها على هذا الحيوان او ذاك . ولا نعلم هل هذا القول صحيح على اطلاقهِ او انهُ صحيح ظاهراً لا باطناً لاننا نعرف عن ادواء الانسان اكثر مما نعرف عن ادواء الحيوان

اما كون الانسان يصاب بكثير من امراض الحيوانات فسببهُ اختلاطهُ بها اما لمعالجة امراضها واما انهُ يجد لذة ومنفعة في تربيتها كالخيل والكلاب والقطط والماشية . ثم انهُ يأكل لحوم بعضها ويشرب ألبانها وكثيراً ما يأكل لحمها نيئاً او غير مطبوخ طبخاً جيداً فتنتقل اليهِ الامراض التي قد تكون مصابة بها . هذا في الدواجن واما الحيوانات البرية فمعلوم انها لا تصاب بكثير من الامراض ولكن حفظ الانسان لها في المعارض يجعلها شديدة القابلية للامراض فتبيت مصدر خطر عليهِ

ومن الامراض ما لا ينتقل من الانسان الى الحيوانات على ما يعلم كالكلب فلم يسمع ان كلباً عدي بالكلب من انسان . ومثل الكلب كثير من الامراض وبعض السبب في ذلك شدة عناية الانسان بمرضاه وما يبذل من التحوط لمنع نقل العدوى

ومما يجب ذكره في صدد الكلام على الامراض والعدوى ان النبات على كثرة امراضه المكروبية والفطرية التي تفوق امراض الحيوان لا يُعدي الانسان بواحد منها ولا الانسان يعدي النبات على ان هناك نوعاً واحداً من المكروب يظهر انهُ يصيب الفريقين . فان شجر الكوكو (الشكولاته) في كوبا يصاب بمرض حادث عن مكروب يشبه المكروب الذي يصيب الانسان وهو المعروف باسم Bacillus coli فقد طعّم الكوكو بهذا المكروب بعد اخذه من اصل حيواني فاصيب باعراض تشبه الاعراض التي ظهرت عليه بعد تطعيمه بمكروب المرض المشار اليه اي الذي من اصل نباتي . على ان هذا المرض ليس بذي شأن يُخشى لان هذا المكروب لا يضرُّ الانسان ولو دخل امعاءه

فعلى ان كثيراً من النباتات تحمل على سطوحها مكروبات امراض يصاب بها الانسان كالتيفويد والدوسنطاريا وغيرهما وحملها اياها ميكانيكيٌّ اي انهُ حاصل من القاء شيء ملوّث بمكروبات تلك الامراض على اوراق النباتات وغصونها وجذوعها وهذه المكروبات تبقى حية مدة طويلة فتعدي الانسان بتناولها كما يعدي الذباب مثلاً الأ اذا عني بغسلها جيداً قبل اكلها

وهناك مسئلة تجدر بنا الاشارة اليها وهي مسئلة اهتمّ بها علماء البكتريولوجيا منذ زمان طويل وخصوصاً باستور نعني بها مسئلة المطابقة بين المكروب والبيئة التي ينزلها . ولبيان ذلك نقول ان مكروباً مفروضاً خاصاً بحيوان معيّن قد يوسّع دائرة اختصاصه بالمعيشة في جسم حيوان آخر والمطابقة بين احواله الخاصة به والبيئة الجديدة التي يوجد فيها . وقد رأينا فيما تقدم ان بعض المكروبات مؤهل بفطرته للمعيشة في ابدان انواع مختلفة من الحيوان وبعضها خاصٌّ بنوع واحد او بتنوع واحد من تنوعات هذا النوع . ولكن هذه الاخيرة اي الخاصة بتنوع واحد قد توسع دائرة اختصاصها بالتجربة والتربية . فمكروب التيفويد لا يعيش في الارنب عادة ولكن بعضهم تمكّن من تربيته فيها حتى صارت تحمله وتُعدي به

ومن اصعب المصاب ان نحصل بالتجارب وبغيرها على حقائق مقررة تمتدّ الى زمان طويل وتبين لنا بالبرهان اهمية هذا المبدإ في انتقال الامراض من حيوان الى حيوان ومن

الحيوان الى الانسان على انهُ ليس لدينا الآن مذهب افضل من هذا المذهب لتعليل اصل العدوى وبقائها . فالمكروبات قديمة جدًّا وهناك ادلة ثابتة على انها وجدت في اسماء حيوانات ونباتات عاشت منذ ١٢ مليون سنة والمرجح انها كانت سبب الامراض فيها ايضًا . والتغيرات التي طرأت على المكروبات منذ ذلك العهد الى الآن هي اقل بكثير مما طرأ على الحيوانات الكبرى

و بين الامراض المعدية كثير مما لم تعرف حتى الآن طرق عدواهُ وقد يظهر متى عرفت ان سببها بعض الحيوانات الدنيا التي لا تزال مجهولة لدينا . خذ مثلاً لذلك الحمى المعروفة في اميركا باسم حمّى قراد الجبال الصخرية فان هناك دلائل تدلُّ على ان لها علاقة بحيوان يحمل ذلك القراد . وقد تمكن البعض بالتجارب من اثبات كون الذباب ينقل شلل الاطفال من حيوان الى حيوان ولكن لم يثبت بالتجارب ان للذباب شأنًا كبيرًا في نشر مكروب هذا الداء بين الناس . ومن الصعب كذلك ان نبين ما للذباب من الشأن في نقل مكروبات بعض الامراض المعدية

وفي الكتب القديمة اخبار كثيرة عن نقل الكلاب والقطط وغيرها من الحيوانات الاليفة لمكروبات الامراض وإعداء الناس بها وخصوصًا الاطفال مما بني اكثرهُ على الظن والتخمين لا على البحث والتجربة . وقد ظنَّ ايضًا ان النمل والبقَّ والذباب وغيرها من الحشرات التي تمتصُّ الدم تنقل مكروبات الزهري والحصبة والحمى القرمزية والجدري وغيرها . وقد يكون ذلك صحيحًا او على القليل ممكنًا ولكن كثيرًا مما كتب في هذا الصدد فرض لا قيمة عملية لهُ

ولا يمكن وضع قاعدة واحدة للعمل بها في حلِّ المسائل المتعددة المتعلقة بمنع عدوى الامراض بين الانسان وسائر الحيوان بل يجب اولاً ان يدرس كلُّ مرض على حدته درسًا دقيقًا و يعلم ثانيًا ان حلَّ معظم هذه المسائل يتوقف كثيرًا على مقدار عنايتنا بالنظافة والطعام واللباس والسكن وعلاقتنا بالحيوانات التي تحمل مكروبات تلك الامراض . وغنيٌّ عن البيان ان اكثر الامراض مما يسهل اجتنابهُ وعدم التعرض لهُ متى عرف مصدرهُ وطريق سيره . فالمسئلة هي في الحقيقة مسئلة تنوير اذهان الجمهور واطلاعهِ على كلِّ ما يختصُّ بماهية الامراض المختلفة وطبائعها وطرق مقاومتها قبل وقوعها ومعالجتها بعد وقوعها

الشيخوخة واماليُّ حيوية

نقلاً عن العلامة متشنيكوف

(٢) هل يمكن ان يُطال العمر[1]

الانسان وهو اطول عمراً من كل ذوات الثدي يشكو على الدوام من قصر عمره . وهو الوحيد من بين الحيوانات الذي ترتسم صورة الموت في ذهنه ويعلم صريحاً انهُ صائر اليه لا محالة فشكواهُ من دنوه مرة واما الحيوانات فتجهل ذلك واذا حاذرت الخطر فانما تحاذرهُ بغريزة الاحتفاظ بنفسها . ولهذا يجب ان يعطى البحث في هذا الموضوع حقهُ من الاهمية لنعرف هل تزيد سعادة الانسان باطالة العمر عن حدودهِ الحالية ام لا

يرتئي بعض المفكرين ان اطالة العمر لا تزيد سعادة الانسان بل قد تكون شؤماً عليهِ لان الشيوخ يحتاجون الى من يعولهم فهم وهق على الامَّة

اذا اقتصرت الغاية على اطالة عمر الشيوخ بدون تحسين حال الشيخوخة نفسها كان هذا الاعتراض صحيحاً وجديراً بالنظر وانما الغاية هي ان يسير العمر مع العقل والقوة سيراً واحداً . وقد ذكرنا في ما مضى امثلة كثيرة تدل على امكان القيام بالعمل المفيد ولو في سن الشيخوخة فاذا قلَّت او زالت الاسباب التي تجلب الشيخوخة الباكرة لم تبقَ حاجة لمساعدة الشيوخ الذين يبلغون الستين والسبعين وقات نفقاتهم عن عائق غيرهم بدلاً من ان تزيد

يتكرون على الطب محافظتهُ على اصحاب الاسقام والعاهات الوراثية ويقولون ان ذلك يؤول الى اضعاف الجنس البشري فلو تركوا للانتخاب الطبيعي لانقرضوا وحلَّ محلهم اشخاص اقوى بنيةً واوفر عملاً . ويسمي هكل هذه المحافظة بالانتخاب الطبي ويقول انها طريقة لانحطاط الانسانية

على ان البنية الضعيفة قد تكون كثيرة الفائدة للانسانية اذ وجد بين المصلحين والمصابين بالزهري المكتسب والوراثي وبين اصحاب العاهات من كل نوع من قام باعمال كبيرة لنجاح الجنس البشري وحسبنا ان نذكر منهم فرسنل وليوباردي وبير وشومان وشوبين وكثيرين غيرهم . ولا نعني بذلك انهُ يجب ان نحافظ على الامراض وان نترك

---

(١) اقتطفنا هذه المقالة من بحث مستفيض للمؤلف في هذا الموضوع واقتصرنا في النقل على ما هو فائدة لجمهور القراء . واما المقالات السابقة فتكاد تكون ترجمة حرفية

للانتخاب الطبيعي حفظ الاشخاص الذين يقوون عليها بين ان نزيل الامراض عموماً وعيوب الشيخوخة خصوصاً بكل الوسائل الصحية والدوائية وان نعتبر الانتخاب العلمي الذي يتولى به هكل مضاداً لسعادة الجنس البشري . فيجب ان نسعى بكل استطاعتنا لنسهل للناس ان يكملوا ادوار حياتهم وان نمكّن الشيوخ من القيام بوظيفتهم المهمة كمستشارين وقضاة محنكين باختبارات حياتهم الطويلة

وقد جرّب الناس في كل عصر كل نوع من الوسائط للحصول على الغاية التي ينشدونها من طول العمر وليس منهم من نظر في هذه المسئلة النظر الذي توجبهُ الغاية الجوهرية التي نطلبها في بحثنا هذا . فانصرفوا الى تركيب العقاقير المتعددة وقاعدة اكثرها الصبر ومنها الاكسير لطول العمر الذي لا يزال اسمهُ محفوظاً الى الآن في المادة الطبية . وكان اكثر الناس سعياً لذلك اهل الصين يؤيدهم ملوكهم الاَّ ان الاطباء القانونيين كانوا يسفهون هذه المساعي و ينكرون فائدتها فقلَّ الاهتمام بها على توالي الايام حتى اقرَّ واحداً ظهر حديثاً بحثوا فيهِ بحثاً علمياً صحيحاً وهو السيكارين نسبة الى العلامة برون سيكار الذي اكتشفهُ وجربهُ بنفسهِ وقال بفائدتهِ وهو سائل يستخضر من عصير خصية الحيوان كالكلب والكوباي و يستعمل حقناً تحت الجلد وقد استعملهُ برون سيكار وعمرهُ ٧٢ سنة وأكد انهُ شعر برجوع قوتهِ وشبابهِ وعلى اثر ذلك شاع استعمالهُ كثيراً ثم قلت اهميتهُ اذ لم تحقق فائدتهُ فاهمل في كثير من البلدان ما عدا فرنسا حيث لا يزال استعماله شائعاً

ثم ظهر عقّار اخر من نوعهِ يعرف بالسبرمين استخضرهُ بوهل الروسي وشهد كثيرون من العلماء المحققين بفائدتهِ وقالوا انهُ ينهض القوى التي تحط بالشيخوخة او بعد العمل الشاق . والسبرمين لا يدل اسمهُ على مسماهُ لانهُ يستخضر من المواد الكيماوية التي في الخصية والبروستاتا والمبيض والبنكرياس والغدة الدرقية والطحال فهو اذاً مركب من مواد كثيرة الانتشار في اعضاء ذوات الثدي من النوعين . ويقول الذين جربوهُ في الشيوخ الضعفاء الذين فقدت قابليتهم وقل توسم انهم استفادوا منهُ واستمرت الفائدة عدة اشهر . على ان الاهمية في علاج ضعف الشيخوخة لا تتوقف على السيكارين او السبرمين بل على الوسائط الصحية التي يسير عليها الانسان في شبابهِ وكهولتهِ سيراً منظماً وهي باجماع الآراء كما يأتي: المحافظة على قوة كل عضو من اعضاء الجسم . ومقاومة الامراض المكتسبة او الموروثة . والاعتدال في الطعام والشراب وفي كل ملذات الجسم . واستنشاق الهواء النقي في البيت وخارجهُ . والرياضة البدنية . والنوم باكراً واليقظة باكراً . ونوم لا يتجاوز سبع

ساعات . والاستحمام يوميًّا بالماء البارد او السخن حسب استعداد الشخص وميله . والشغل المرتب . وعيشة يخالطها الرجاء ويمازجها السرور بالحياة . ومقاومة الشهوات والانفعالات العصبية . والامتناع عن المشروبات الروحية . واجتناب المخدرات والمواد المسكنة . والذين يسيرون على هذه القواعد يجاوز كثيرون منهم المئة . فالرسائط الصحية هي التي يعول عليها في اطالة العمر وفي جعل الشيخوخة قليلة العناء

ولا ريب في ان علم الصحة كان واسطة لاطالة العمر في الاعصر الاخيرة لان الوفيات في الشعوب المتمدنة نقصت عما كانت عليهِ في الاعصر السابقة . ويرجع بعض السبب في ذلك الى النقص في وفيات الاطفال ففي القرن السادس عشر كانت وفيات الاطفال في جنيف ٢٦ في المئة ونزلت في بداءة القرن التاسع عشر الى $16\frac{1}{2}$ في المئة . وحصل مثل ذلك في برلين وهولندا والدانمارك وغيرها . وطالت ايضاً اعمار الشيوخ لان قسس البروتستانت في الدانمارك كان متوسط اعمارهم في القرن الثامن عشر يتراوح بين $74\frac{1}{2}$ و $89\frac{1}{2}$ سنة وكانت وفياتهم ٢٢ في المئة ونزلت في القرن الثامن عشر الى $16\frac{4}{5}$ في المئة . ومثل ذلك يقال عن قسس انكلترا وعن افراد البيوت المالكة في اوربا ذكوراً واناثاً وعن افراد الشعب في كل بلد من البلدان المتمدنة . ولا ينفي ذلك كون الذين عمروا في الاعصر السابقة اكثر من الذين يعمرون في الاعصر الحاضرة لان اولئك عمروا في ظروف واحوال خصوصية وشيوخ هذه الايام يعمرون اكثر منهم ومما لا ريب فيهِ ان العمر عموماً قد طال عما كان عليهِ في الماضي

وقد كان علم الصحة في القرن الثامن عشر واكثر التاسع عشر قاصراً قليل الانتشار لكنهُ كان مع ذلك وسيلة قوية لاطالة العمر لان قواعد النظافة وحسن المعيشة ساعدت عليهِ . قال ليبغ ان تمدن الامة يقاس بكمية الصابون الذي تستعملهُ . وقال احد الجراحين الشهيرين ان السرطان قلَّ كثيراً عمن ذي قبل الاَّ ان سرطان الجلد ولاسيما الجلد المكشوف الذي تطالهُ اليد قد زاد وانهُ ينمو بنوع خصوصي على القروح والندوب وعلى الاقسام التي تتوسخ بسهولة ولهذا يندر السرطان في الفئات التي تعتني بالنظافة

وللتلقيح بلقاح الجدري شأن كبير في تقليل الوفيات ففي النصف الثاني من القرن الثامن عشر اي قبل اكتشاف جنَّر طريقة التطعيم كانت الوفيات بالجدري في برلين ٩٫٨ في المئة من كل حوادث الموت ويموت بهِ ٦ في المئة ممن عمرهم ١٥ سنة و ٩٩٫٣ في المئة من سنهم اقل من ذلك . واما الشيوخ فقل من كان يموت منهم بهِ اذ يرجح انهم اصيبوا بهِ في صغرهم فسلموا منهم في كبرهم

فاذا كان علم الصحة على ضعفه وعدم انتشاره في تلك الايام قد افاد في اطالة العمر فمن الضرورة ان تزيد فائدتهُ في هذه الايام بعد تقدم المعارف الطبية وزيادة انتشارها بين العامة . فاصبح القاء الامراض العفنية والسارية كالزهري وذات الرئة والتيفويد والهواء الاصفر امهل مما كان سابقاً . وصار في الامكان تحسين الامزجة والاعمال المرضية بترتيب المعيشة والسير على القواعد الصحية

وقد اتضح مما سبق في المقالات السابقة ان العناصر الشريفة متى ضعفت في جسم الشيوخ شرع المكروفاغوس يفترسها فدعا ذلك الى الظن ان اتلاف المكروفاغوس او اضعافهُ قد يكون وسيلة لاطالة العمر ولكن المكروفاغوس ضروري لمقاومة العوامل المرضية وخصوصاً العوامل التي تسبب الامراض المزمنة كالسل فمن الضروري ان نحافظ على سلامته ونسعى لايجاد دواء يقوي العناصر الشريفة ويجعلها اقل عرضة لان يفترسها المكروفاغوس

تكلم في كتابنا « دروس في الطبيعة الانسانية » على مسئلة مصل الحيوان الذي يذيب الكريات الدموية من حيوان آخر من غير توعه ثم اتسع نطاق البحث في هذا الموضوع واكتشف علماء البيولوجيا انواعاً كثيرة من المصل واخصها المصل المعروف بالسيتوتوكسيك اي الذي يسم العناصر الحويصلية

فمن الحيوانات ما يفصل دمها ومصل دمها فعل سم بعد ادخالها الى جسم حيوان آخر كدم الخنكليس والافعى لاننا اذا حقنا حيواناً من ذوات الثدي كالارنب والكوباي والجرذ بكمية من دم الافعى فالحيوان المحقون يموت بعد مدة قصيرة ولو كانت الافعى غير سامة

ومن ذوات الثدي ما لهُ هذه الخاصة ولكن باقل درجة من الافعى فاذا حقنا حيواناً من ذوات الثدي بدم حيوان من غير توعه ظهرت في الحيوان المحقون اعراض التسمم . ودم الكلب يمتاز بقوة سمهِ عن دم بقية ذوات الثدي وعكسهُ دم الغنم والمعزى والخيل لان الحيوانات والانسان تحتملهُ بسهولة ولهذا يفضلونها لتحضير انواع المصل التي تستعمل في الطب

ثم ان مصل الدم غير سام يتحول الى مصل سام اذا اخذ من حيوان بعد حقنهِ بدم حيوان من جنس غير جنسهِ . مثال ذلك اننا اذا حقنا الخروف بدم الارنب ثم اخذنا مصل دم الخروف وحقنا بهِ الارنب اذاب الكريات الحمراء فيهِ اي ان دم الخروف اكسب من دم الارنب قوة على تذويب الكريات الحمراء ولكن هذه القوة ينحصر تأثيرها في الارنب ولا تؤثر في الحيوانات الاخرى . فحقن الخروف بدم الارنب يكسبهُ خاصة جديدة لا تظهر الاَّ على الكريات الحمراء في دم الارنب فيحصل فيهِ ما يماثل فعل المصل في الامراض العفنة اذ يحصل من

الحصان بعد حقنه بكروبات الدفتيريا مصل يشفي الدفتيريا ولا يفعل في التتانوس او الطاعون

وقد ظهر في سير هذه الابحاث ان المصل يكون سمًا بقدر معين فاذا نقص عنهُ فعل فعلاً معاكساً اي انهُ بالكمية الكبيرة يذيب الكريات الحمراء ويقلل عددها في الدم وبالكميات الصغيرة يزيد عددها . وبعد ان ثبت ذلك بالتجارب في الحيوانات ظهرت فائدتهُ بالتجارب في المصابين بفقر الدم فزادت فيهم الكريات الحمراء وظهر اللون الاحمر على وجوههم بعد حقنهم بكمية صغيرة من مصل الدم . ثم حسَّن بعضهم هذه الطريقة فاعدَّ مصلاً من دم الحيوانات بعد حقنها بدم الانسان وجرب هذا المصل في عدة اشخاص مصابين بفقر الدم من اسباب مختلفة وقد خابت في بعضهم العلاجات السابقة فكانت النتيجة باهرة اذ زادت الكريات الحمراء بغتةً زيادة كبيرة بعد حقنهم بكميات صغيرة منهُ

تنطبق هذه الاحوال على القاعدة العمومية المعروفة في الطب وهي ان السموم بالجرعات الصغيرة تقوي العناصر الحساسة وبالجرعات الكبيرة تهتكها وتميتها . ففي الطب يقوون القلب بجرعات صغيرة من السموم القلبية كالدجتالين وفي الصناعة يقوون فعل الخمير بكمية صغيرة من مادة تميتهُ بكمية كبيرة كفلوريد الصوديوم

يؤخذ من هذه المعلومات الثابتة مبدأ ثابت وهو ان العناصر الشريفة تقوى بالمصل العام (البتوكسيك) الذي من نوعها الاَّ انهُ يتعذر الحصول على مصل لكل نوع من العناصر ودون تحقيق ذلك صعوبات جمة لاننا نستطيع ان نحصل على دم انسان ونحقن بهِ حيوانًا فنحصل منهُ على مصل يقوي الكريات الحمراء ويزيد كميتها الاَّ انهُ يتعذر علينا ان نحصل على الاعضاء السليمة التي يجوز استعمالها لغاية عملية وعملية لان القانون لا يجيز تشريح الجثة الاَّ بعد فوات الفرصة اي بعد ان تفسد وتنتن عدا عن ان الاعضاء كثيراً ما تكون مصابة بعلل تمنع استعمالها والفائدة منها . وافضل ما يمكن الحصول عليهِ من هذا القبيل اعضاء الاطفال الذين يموتون بعوارض الولادة اذ تكون اعضاؤهم سليمة وعلى الحالة الطبيعية الاَّ ان هذه العوارض نادرة وزادت ندرتها بتقدم علم الولادة

فاذا كان من الصعب ان نجد دواء لتقوية عناصرنا الشريفة المستضعفة فمن السهل ان نمنع حصول هذا الضعف الذي يقف عثرة دون تحقيق آمالنا في الحياة الطويلة وبما ان المولدات المكروبية هي التي تفسد انسجتنا في هذا السبيل يجب ان نبحث عن حلٍّ لهذه المسئلة

عند ما يولد الطفل تكون امعاؤهُ خالية من المكروبات . والسائل الذي تحويهِ يتألف من الصفراء ومن العناصر الواردة من الغشاء المخاطي المعوي فهو وسط صالح لاستنبات

المكروبات اذ بعد الولادة بنصف ساعات تظهر في برازهِ مكروبات عديدة من انواع مختلفة وهي تستطرق اليهِ مع الهواء بطريق الفم والانف وبعد ان يرضع لبن امهِ تقل هذه المكروبات ولا يبقى منها سوى مكروب واحد اكتشفهُ تيسيه وسماهُ باشيلوس بيفيدوس

والطفل الذي يغذى بلبن البقر تكثر المكروبات في برازهِ اكثر من الطفل الذي يغذى بلبن امهِ فالغذاء اذاً يؤثر في المكروبات المعوية وهي تختلف باختلاف التغذية وعلاقة التغذية بالمكروبات تدعو الى السعي للوقوف على الوسائل التي تتنوع بها المكروبات المعوية بحيث يحل محلها مكروبات مفيدة

عرفنا مما سبق بيانهُ في المقالات السابقة ان المعى الغليظ مستودع واسع لحفظ فضلات الطعام وستنبت المكروبات الكثيرة وانهُ كبير الفائدة للحيوانات التي تقتات بالنبات وعديم الفائدة للانسان وقد اثبتت المشاهدات انهُ اذا استؤصل قسم كبير منهُ او اذا فقد وظيفتهُ بقيت صحة الانسان جيدة وبقي جسمهُ سليماً ولا يلزم من ذلك ان يستأصل المعى كما تستأصل الزائدة الدودية بل ان تقتل المكروبات او يخفف ضررها وقد استعملوا لهذه الغاية العقاقير التي يسمونها بضادات الفساد وهي كثيرة كالبانزونفتول والسالول والشيول والنفتالين وغيرها ومثلها المساهل وخصوصاً الكالومل وقد ظهر منها بعض الفائدة ولكنها لم تفِ بالغرض لانها لا تقتل المكروبات بالجرعات الصغيرة وتضر المعى بالجرعات الكبيرة ولان المساهل لا يجوز الاستمرار عليها طويلاً

وافضل ما جرى عليهِ الانسان من بداوتهِ الى الآن اخذهُ الغذاء مطبوخاً على النار . ولا تدخل المكروبات الى الامعاء إلاَّ مع الاطعمة النيئة فاذا لم يؤخذ الغذاء الاَّ مطبوخاً ولم يتناول الشراب الاَّ بعد إغلائهِ امكن القاء شر المكروبات الاَّ ما شذ وندر . ولا يتوهمنَّ احد ان تعقيم الاغذية يضعف قيمتها ويعسر هضمها لان رواد القطب الشمالي يعيشون مدة طويلة على الاغذية المعقمة بدون ان يتالم ادنى ضرر والطفل الذي يغذَّى بالحليب المعقم اقل عرضة للالتهابات المعوية من الذي يغذى بغير المعقم . وقد اثبتت المراقبات ان الشعوب التي تغتذي باللبن الزائب كالبلغار والبدو يعمرون طويلاً وتتمتعون بصحة جيدة حتى في اقصى الشيخوخة لان الحامض اللبني من مطهرات الامعاء وقد اشتهر اللكتوباسيلين في مداواة الامراض المعوية وهو العقار الذي حضرهُ متشنيكوف من خميرة اللبن وقوامهُ مكروبات الخمائر اللبنية وقد عرفنا ان تسمم الاعضاء بالمكروبات المولدة من التعفن المعوي هي من اكبر دواعي الشيخوخة الباكرة فاذا سار الهضم سيراً حسناً ومنع التعفن المعوي قلَّ

تعرض الاعضاء للتحطم واستطاع الانسان ان يسير سيراً حسناً في كل ادوار حياته واصبح اكثر اهلية لبلوغ شيخوخة كبيرة قليلة التعب والنصب . ولهذا يجدر ان يبحث في كل ملاجئ العجزة عن المكروبات المعوية في الخبز وعن الاغذية التي توافقهم . والى ان تصل الى نتيجة هذا البحث ننصح لمن يرغب في طول العمر مع سلامة العقل ان يعتدل في معيشته ويسير على القواعد الصحية التي ذكرناها آنفاً . انتهى الدكتور امين ابو خاطر

في بادية الشام

هاأنني وانا في الشياه من الجبروت الجنكيزي هُوَلٌ أوجست منها في نفسي خيفة واستشعرت من شرورها المستطيرة في العرب خشية . ولما ايقنت بان حكومة الترك التورانية قد عزمت عزماً شديداً ان تقضي على الروح القومية العربية قضاء مبرماً في طامة هذه الحرب الكبرى وذلك بالقضاء على اعيان العرب وفتيان قحطان وعلمت بعد ذلك انهم امروا زبانيتهم بالقبض عليَّ فاستجرت من العاطب بالسياسب ومن الموادي بالبوادي ولذت من عقاب العجزة الاشرار باجنباز عقاب المفاوز والاوعار . وما زلت لابساً قبعة الاخفاء متوارياً عن العيون والرقباء يوماً بجبل الشيخ او جبل الثلج على رأي حسان و يوماً على متون الصافنات الجياد تقطع سهول حوران . ومن غرائب الاتفاق التقائي بصديقي جلال الدين الفخاري فارّاً من عدوان الاتراك فوافقني ورافقني حتى هبطنا البلقاء (موآب) والقينا عصا التسيار او القرار في عرب بني صخر الخيسين قرب قرية الزرقاء . وحللنا ضيفين مستجيرين على شاهر الخريشة ابن عم حديثة شيخ هؤلاء الاعراب ولم ننزل في سرادق الشيخ لسفرة الى دمشق لاستلام المرتّبة وهي الاتاوة التي يتقاضاها البدو مسالمةً من الترك

بنو صخر من الاعراب التي اتخذت البلقاء منازلها وهم ينقسمون الى قسمين الخريشات والفائز فالخريشات نسبةً لخريشة الأب الاول ويبلغ عددهم نحو ٥٠٠٠ نفس لا عيش لهم الاّ بابلهم التي يتقلون عليها الحمول بالاجرة صيفاً في عجلون وحوران و يحملونها عند تقريبهم وعودتهم من البادية ملحاً من قريات الملح الواقعة في فاتحة وادي السرحان من جهة الشام . ويعيشون ايضاً بالغزو المستديم وهو حرفة الاعراب من القديم وأكثر غزوهم للدروز وقد شاهدتهم يغيثون في قرى الشراكسة فساداً فيرعون مراعيهم و يقطعون من مغارسهم اشجار الصفصاف يتخذون منها اعمدة خيامهم واوتاداً

واقتفي الاخبار الطويل بصدق ما ذكرهُ مونتسكيو العرب ابن خلدون عن هؤلاء العرب وانهُ لا يريد بهم الأ الاعراب وان التبس هذا على كثير من الباحثين فاساؤا الظن بفيلسوفهم العربي الكبير . فان من جاب جزيرة العرب اليوم وعاشر اعرابها وسبر روحهم البدوية علم علماً لا يشوبهُ ريب ان الحضري لا يقصد بالعرب كما ذكرت سوي اهل الوبر لا المدر ومن اتخذوا بيوتهم من الشعر لا الحجر . وقد اعدت مطالعة مقدمتهِ مراراً وانا ملابسهم في ظعنهم وحلهم وغزوهم ورعيهم وايرادهم واصدارهم فكنت كلما زدت بالبادية اقامةً زدت باين خلدون اعجاباً وايقاناً بانهُ اعلم الناس بالبدو او على تعبيرهِ احياناً في مقدمتهِ بالعرب . ومن يقرأ الفصل الذي كتبهُ في « ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب » وقولهُ فيهِ : والخشب ايضاً انما حاجتهم اليهِ ليعمروا بهِ خيامهم ويتخذوا الاوتاد منهُ لبيوتهم فيخربون السقف عليهِ لذلك فصارت طبيعة وجودهم منافيةً للبناء الذي هو اصل العمران » يشهد بان قولهُ هذا يحاكي قولي ان عرب الحرشان آفة الزراعة اليوم في البقاع . ولم تختلف احوال العرب في معائشهم وعوائدهم عن زمن ابن خلدون الأ اختلافاً يسيراً نشأ عن اختلاف احوال المدن . وعلاقة اهل البداوة باهل الحضارة مستحكمة العرى في جميع الازمان

هؤلاء هم الحرشان واما ابناء عمهم الفائز فعددهم نحو ١٥ الفاً رأسهم شيخهم فوّاز وهو رجل منور الفكر لدراستهِ في مدرسة العشائر المؤسسة عهد عبد الحميد شديد النزعة الدومية معروف بين اخوانهِ باخلاقهِ الكريمة ولا يبعد ان يلعب دوراً خطيراً على مسرح الثورة العربية

بتو صخر ويقال لهم الصخور ايضاً ومنهم قسم يسكنون اليوم غور بيسان حجازيو الاصل لادعائهم القرشية والذي ذكرهُ القلقشندي في صبح الاعشى وفي نهاية الارب في اخبار العرب انهم من القحطانية بطن من جذام مساكنهم بلاد الكرك من الشام وتابعهُ الحمداني على ذلك ايضاً وهو اضرب في مفاصل العواب

وقد الفت والمرحوم[1] رفيقي بين ظهراني هؤلاء الصخور شهر ذي القعدة سنة ١٣٣٢ وفي الخامس من ذي الحجة انتقلنا لعرب السرحان الذين عزموا على التبدي وهو التشرد بلغة البدو

نزلنا في مضرب الشيخ خنيفس (تصغير خنفس) احد شيوخ السرحان وكان نازلاً بعربهِ على بعد مرحلة صغيرة من الزرقاء شرقاً في مراح يعرف بالادعم وهذا الاسم لم يذكرهُ ياقوت ومعنى الادعم في القاموس الفرس الذي في صدرهِ او لبتهِ بياض وكأنهُ كان في هذا المنزل بقعة كلسية بيضاء فسمي بالادعم تشبيهاً

(١) لانهُ القي عليهِ القبض بعد ذلك وشنق رحمهُ الله في دمشق مريئاً مظلوماً

على الحضري المتبدي سيما ان كان شريداً طريداً ان يتجلبب في البادية بجلباب الفقر والاعدام وان يعمل بنصيحة ذلك الرحالة المجرب القائل اذا سافرت فأخفر ذهابك وذهبك ولهذا رأيت ورفيقي ان نطلع الشيخ على حوزتنا لما سلبهُ متا عديمو المروءة من البدو وباطلاعه على حالنا المؤلمة تأثر ووعدنا بمساعدته ايانا بقدر ما في وسعه ولقد برَّ بوعده جزي خيراً

وعدد عرب السرحان نحو خمسة آلاف وبهم يسمى وادي السرحان الآتي ذكرهُ ومنهم من توطن الجوف (دومة الجندل) وسكاكة ومن شيوخهم ابن بالي وابن رافع وحقهُ ان يدعى ابن خافض لانهُ باقٍ[1] اي سلب ضيوفهُ المرحومين عبد الغني العريسي والامير عارف الشهابي وعمر حمد وتوفيق البساط وباقي ايضاً شيخ جبانا الخشب وما جاورها في جبل الشيخ (حرمون) وهو الشهم الكريم والعربي الصميم احمد مريود رعاهُ الله

ومن عادة البدو اذا شرقوا[2] ان يغلسوا في التحمل وهكذا لم يكد الصبح يشفس حتى عكت الاحمال وشالت الجمال الاثقال وشرتنا صباح الجمعة من الادعم وكنا نقطع يومياً مرحلة ست او سبع ساعات بمعدل ٢٥ كيلو متراً . وفي المرحلة الثانية جزنا بالازرق وهو اليوم خرابة بجانبها ماء تردهُ الاباعر . والازرق هذا احد قصور الامويين التي كان ملوكهم ينزلونها زمن التشريق . فقد روى صاحب كتاب العيون والحدائق (ص ١٢٠) ان الوليد بن يزيد كان يستوطنهُ في البرية . وذكر الاصفهاني في اغانيهِ انهُ كان ليزيد بن عبد الملك عدة قصور يتنقل اليها و يصيد كالزيزاء وفدين والازرق والاغدف

(١) البرقة في عرف البدو مخالفة فيما يجد المروءة البدوية المعروفة وهي بداية خرق القانون في عرف المتمدنين والباقي يعاقب في قبائل البادية عقاباً صارماً يشبه الحرم الكهنوتي وهو لا يؤاكل ولا يجالس ولا يسلم عليهِ وهكذا نال ابن رافع جزاءهُ الشديد حتى رد الاسلاب واكد للعرب النازلين في الحريم انهُ ظن الذين باتوا قربهُ اي عدواً باصطلاحهم واراد بالقوم الدروز لانهم حينئذٍ كانوا قرناً معادين . ولفظة برقة اسم مرة من فعل عربي فصيح قال في القاموس : (برق جاء بالشر والخصومات وفلان تعدى على انسان او هجم على قوم بغير اذنهم كابرق وبالقوم سرقهم)

(٢) التشريق في عرف البدو هو الرحيل الى شرق بادية الشام لان الشتاء عند طلوع سهيل مرعاً من البرد لقلة ثلوجهم وعدة سراييلهم الواقية ولان المياه تكثر في هذا الفصل للامطار فتكثر موارد الهيم مما يساعدهم على الاتجاع والارتياد فاذا جاء الربيع اعشوشبت الارض وانبتت من كل زوج من البقول بهيج فيكثر الرمث والزروة والشيح والقيصوم فتسمن انعامهم وتغزر البانهم وتنتج عشارهم على جهاد من الرمال وثير ما لا يحدونهُ في ارياف الشام . ولا يزالون في البوادي متنقلين حتى يدعهم الصيف بحراتهِ ويصوح النبت ويتولى البادية الجدب فيلوذون حينئذٍ بارياف البلقاء وعجلون ومزارع الغوطة وحوران والجولان وما يحمونهُ بالتقريب

والبحراء وقصر الابيض في الرحبة وعلى هذا يكون الوليد اقتدى بسكنى الازرق بابيه ومن يشابه ابهُ فما ظلم . وقال ياقوت « والازرق ماء في طريق حاج الشام دون تيماء » ولم يعين مقرهُ اذ بينهُ وبين تيماء مسافة كيلو متر ومن الازرق للهزيم مرحلتان قصيرتان ومنهُ لبصرى مرحلة على الطريق الرومانية المستقيمة التي يرجح انها كانت طريق عبد العزيز في خروجهِ على الوليد كما ذكرهُ الرحالة دوسو (Dussaud)

واما انا فلقد شرّفت عملاً بقول الشاعر :

وغرّب فالتغرب فيهِ خيرٌ وشرّق ان بريقك قد شرفتا

ولعمري لقد شرفت من فظائع التورانيين ايما شرق فشرّفت مع السرحان معبراً عن لسان حالي بلسان مقالي هذا :

فان السُّرى والليل يقرس بردهُ وحيري في البيداء معتسفاً يومي

وذرع الفلا ما عشت في غربة النوى وحيداً فلا كلي يطيب ولا نومي

لأفضل لي والله يا عاذليَّ من مشاهدة التركي يقضي على قومي

ويبدو هؤلاء العرب في التشريق قديم عهدهُ فقد كانوا ايام بني امية يشرقون في بادية الشام في شتاء كل عام وهو ما يسمونهُ بالتبدّي ولم يذكر ابن عساكر وصاحب الاغاني ملكاً اموياً الأ ذكر تبديهُ فكان خالد بن يزيد يسكن قصر قدين في البلقاء واطنهُ القصر الذي يجاور اليوم عين الزرقاء ويدعوهُ العرب قصر تبّع كعادتهم بنسبة كل بناء عبقري الى سليمان كما فعلوا بنسبة بناء تدمر بالصفاح والعمد وبنسبة الابلق الفرد

واخبرني بنو صخر ان بني هلال اجتازوا بهذا القصر وحاربوا ربهُ ايام هجرتهم من الحجاز للغرب ومنعوهُ الماء ولهذا القصر الصالح للسكنى اذا رمّ مناظر طبيعية سبتني محاسنها وراعتني جدًّا كما راعت من قبلي خالد بن يزيد واولاد خليفة عثمان وفي الآثار عبرة لاولي الافكار

ذكرنا ان الوليد كان يتبدى الى الازرق وكان يقطن الزيزاء والقسطل في البلقاء التي يلقبها العرب اليوم بذيل البادية وكان مناوبة يشتو بالصنبرة في الاردن وبهِ اقتدى عبدالملك الأ انهُ كان بعد الصنبرة يقضي في الجابية شهر آذار وكان يبلغ بهِ التبدي احياناً ان يصل دومة الجندل المدهاة بالجوف اليوم حيث كان لهُ من واحتها الغناء متنزه جميل يحاكي متنزه الامير نواف الشعلان حاكم دومة الجندل في يوم الناس هذا

عز الدين

آل علم الدين

« البحث صلة »

الجامعة الالمانية

(تابع ما قبلهُ)

نشرنا في الجزء الماضي جانباً من مقالة الاستاذ داود ستار جوردان يتضح منهُ ان الحكومة الالمانية كانت ترمي الى جعل سياستها الخارجية سياسة عنف وشدة . وقال بعد ذلك ان سياسة العنف تستلزم ان تكون الحكومة مطلقة تعمل برأيها لا برأي عدد كبير من نواب شعبها لانهُ لا يحتمل ان يتفق هؤلاء النواب على امر من الامور اتفاقاً تاماً . والاختلاف بين النواب هو الذي يحفظ الحكومات الدستورية وهو الذي يمنعها عن ان تبادئ غيرها العدوان

فلو كانت اوربا كلها دستورية لتصانت شعوبها وبعدت عن الحرب جهدها وحركة الجامعة الالمانية هي السائق الاكبر في سبيل الاتحاد الاوربي كما قال جول فروليش لان حكوماتها لا تأبى الاتفاق بعضها مع بعض ولكن اصحاب الجامعة الالمانية وكل القائلين ببقاء القديم على قدمهِ لم يروا فائدة لهم من اتفاق الامم الاوربية على المساواة في الحقوق بل رأوا ان السيادة المطلقة يجب ان تكون فوق حقوق الناس ومساعداتهم وآدابهم وان لا تكون مسؤولة لاحد . او كما قال ترتشكي ان الامة لا تخطئ الا خطيئة واحدة لا تغتفر وهي ان تبقى تحت رحمة غيرها فالحرب بهذا المعنى لا صفة ادبية لها اي لا يقال انها شر ولا يقال انها خير وما هي الا واسطة لغاية والغاية تبرر الواسطة . فاذا غزت دولة بلاداً وفازت صار امتلاك تلك البلاد من حقوقها ولذلك فالبلدان الصغيرة تدوم مستقلة الى ان تبتلعها البلدان الكبيرة

ولما كانت الحكومة المطلقة مضطرة ان تحفظ كيانها ضد مساوىء العصر اي ضد الدستوريين والاشتراكيين والداعين الى السلام والطالبين اتفاق الدول فلا بد لها من اثارة الحروب على غيرها لان الحرب هي العلاج السريع الفعال الذي يشفي من التخاذل الداخلي وضعف الوطنية كما قال ترتشكي

ويمكن اعتبار الجامعة الالمانية حيلة سياسية ورواية تمثيلية يراد بها التدليس على اصحاب المطالب الادبية حتى لا يفقهوا غرضها المادي القبيح . وما هي في الحقيقة الا حيلة على حرية الشعب الالماني لكي تضيق عليهِ قيود الاستبداد الحربي والصناعي فتنزع منهُ الحرية وتقدم

له بدلاً منها الأمن وتيله شيئاً من الرخاء الحاضر بدل النجاح المقبل . ويراد بها ايضاً نزع حرية الامم المجاورة ببسط سلطة بروسيا على كل البلدان التي سكانها من اصل المانى وعلى البلدان الواقعة بين المانيا والبحر وبينها وبين التوسع شرقاً

ويمكن عد الجامعة الالمانية رواية تمثيلية من حيث اعتمادها على التقاليد القديمة فانها تدّعي ان تواريخ العصور الوسطى تؤيد حق المانيا في التسلّط على البلدان المجاورة لها التي يقطنها اقوام من اصل توتوني او اقوام كانوا خاضعين « للامبراطورية الرومانية المقدسة » ويمكن ايضاً عدها رواية تمثيلية بما تطمح اليه نفسها من امتلاك بلدان واسعة لا يسكنها في المستقبل الاّ اناس من اصل المانى . فيجب ان تمتد املاكها في افريقية من الاوقيانوس الاتلنتيكي الى الاوقيانوس الهندي ويوصل بين طرفيها سكك الحديد ويكون حكامها من اعيان الالمان وهم يتولون ادارة زراعتها بواسطة سكانها الزنوج على اسلوب يعود بالفخر على الامة الالمانية كما قال الاستاذ دلبرك . الاّ ان هذا الاستاذ قد اعترف ان ليس لالمانيا ربح مالي من وراء ذلك فما الغرض منهُ الاّ مجرّد الجاه والتبجح بالملك الواسع . وهذا شأن المانيا في كل ما ترمي اليهِ . وقد كان للاغراض التي من هذا القبيل وتطلّبها بالقوة والارهاب اثر سيئ في جعل الالمان يعتدّون بانفسهم ويحسبون انهم قادرون على كل شيء . فاذا سلّمنا بدقة علم الالمان ومهارتهم في تطبيق العلم على العمل وبسمو بعض الفنون والآداب الالمانية يبقى فرق عظيم بين العظمة الالمانية التي يراها الناس والعظمة التي يدعيها الالمان انفسهم . ولذلك تجد الجامعة الالمانية تحتقر آراء غيرها وتقول ان الفرنسويين شعب منحط والايطاليين شعب مضمحل (الاّ بعدما حالف المانيا) والروس شعب متوحش والبريطانيين شعب مراء والاميركيين شعب يعبد المال . ولا تلتفت الى صراحة الفرنسويين ومهارة الايطاليين وتعشّق الروس لما يعدّ كمالاً وتملك البريطانيين بالفضائل وصدق عزيمة الاميركيين . ومن ثم يُعلم جهل الالمان امرهم من الامم الذي هو العيب الاكبر في السياسة الالمانية والصخر الذي ستتكسر عليهِ قوة المانيا الحربية لان حكم الناس صعب جداً لا تستطيع الجنود ان تدركهُ مهما كثر عددها وقويت اسلحتها

ومما يذكر في هذا الصدد ان فلسفة الجامعة الالمانية تحرّف الحقائق عن وضعها مثال ذلك ان الدكتور منستربرج الالماني استاذ الفلسفة في جامعة هارفرد الاميركية وهو ليس من متخرجيها قال في كتاب لهُ نشرهُ حديثاً اسمهُ « الغد » « ان امتلاك المستعمرات والاستيلاء على المرافئ وتطلّب البلدان الغنية بالمعادن كل ذلك لا يعدّ اعتداء ولا ظلماً

من الغالب بالمغلوب ولا التاريخ يؤيد هذه الدعوى لان مطالب الامم التي يقصد بها غاية سامية يجب ان تحسب من قبيل القيام بواجب مقدّس يفرضهُ التاريخ على الامم » . ولذلك لما اغتصبت المانيا كياوتشاو من الصين قامت بواجب مقدّس على مذهبهِ دعتها اليهِ وطنيتها . وقال في تعريف الحق ما يأتي « يظن البعض ان الحق صورة فوتوغرافية جسم موجود فعلاً ويتسون ان كل ما يسمّى حقًّا انما هو نتيجة تنوعت مرةً بعد اخرى او اختبار تكرر وتحوّر او صورة اخترعها لذهن »

ومن ثمّ صارت الجامعة الالمانية مذهبًا دينيًّا مدارهُ بغض الغير . وقد قال اتوفون فوتبرج « ان رسوم هذا المذهب انما هي ان يحب الانسان اخوتهُ وبلادهُ وملكهُ ويتمنّى النصر الذي يتيح السلام للاحياء والراحة للاموات . هذه هي تعاليم الوثنيين والمسيحيين ايضًا ولذلك فالحرب اسمى واقدس اعمال الانسان وهي الملكوت السموي لالمانيا الفتاة والسبيل لتقدمنا الى الله زلفى »

وقد اهتمت الجامعة الالمانية بالالمان الذين هاجروا من المانيا قاصدة ردهم الى الحظيرة الالمانية . ووضع فون بولو خطة لذلك وصفها برنهاردي بقولهِ « انها ترمي الى منع العنصر الالماني من التشتت في الدنيا وحفظهِ في مجاميع متضامّة يكون منها حلقات سياسية حتى في البلدان الاجنبية ضلعها مع المانيا والى فتح الاسواق للتاجر الالمانية والمعاهد العلمية لنشر الادب الالماني »

ويبلغ عدد الالمان الذين هاجروا من المانيا ويراد ردهم الى الحظيرة الالمانية ملايين كثيرة . وهم يدّعون ان في الولايات المتحدة وحدها عشرة ملايين وفي غيرها من البلدان عشرة ملايين اخرى وهذا العدد على ما فيهِ من المبالغة لا يعود بالفخر على المانيا لان الذين رضوا منهم ان يكونوا عمالاً سياسيين لها باجرة او بغير اجرة قليلون جدًّا لا يزيدون على نسمة الوف ولم يخدموا المانيا خدمةً كبيرة ومع ذلك تقاضوا عليها اجوراً باهظة . ولكن لا شبهة في ان رجالاً تديرهم الجامعة الالمانية انتشروا في كل المسكونة وكان لهم اليد الطولى في تحقير اسم المانيا حتى قبل نشوب هذه الحرب وطُلب منهم ان يقوموا بالاعمال العدائية فقد قال جون هاي[1] ان اعمالهم لم تبقِ لالمانيا صديقًا في الدنيا الاّ النمسا المعتمدة على المانيا وتركيا المأجورة منها

ومن اعمال الجامعة الالمانية ايضًا اجبار الناس على استعمال اللغة الالمانية في كل مكان

(١) سياسي اميركي وكاتب مشهور كان وزيرًا لمداخلة في رياسة مكنلي

يصل اليه النفوذ الالماني ومنع استعمال الكلمات الاجنبية في البلاد الالمانية وابطال اللغات الاجنبية الفرنسوية والبولندية والدنمركية والنلمنكية من كل البلدان التي ضمتها المانيا اليها . وكان ما بذلتهُ من الجهد في نزع جنسية السكان في الالزاس واللورين مكروهاً لدى الالمان اتفسهم سكان تينك الولايتين كما كان مكروهاً لدى الفرنسويين سكانهما

ولما نشبت الحرب الحاضرة ظهرت سطوة الجامعة الالمانية على اشدها فان الشعب الالماني لم تكن لهُ يد في الحرب مع ان خطتها وضعت في المانيا ومنها اوقدت نارها . ولا يزال اكثر الالمان يعتقدون حتى الساعة ان الامة الالمانية بريئة من اثارتها معتدًى عليها لا معتدية . ولقد سهل على الجامعة ان تقنع العوام ان روسيا وفرنسا وبريطانيا اتفقن على تضييق خناقهم للقضاء عليهم مستشهدة على ذلك بما في الصحف الاجنبية من اقوال العداء المشابهة لاقوال برنهاردي والكونت رفنتلو وبعض الصحف الالمانية . ولا تخلو بلاد من كتَّاب متطرفين شأنهم يزر بذار العداء حتى لقد اجتمع جماعة من السياسيين من ممالك اوربا المختلفة في باريس في اوائل يوليو سنة ١٩١٤ للنظر في ما يجب عملهُ لتخليص اوربا من صحفها التي تتجشَّع بالوطنية

ان الاحزاب الاوربية التي تميل الى استعمال القوة والعنف اثبت ما غلَّ ايديها في فرنسا لتي الحزب العسكري في مسألتي دريفوس وبولانجه ما قضى على غلوائهِ . وفي انكلترا لقي المحافظون في حرب البوير ما اضعف سلطتهم . واما في المانيا فطامع المستبدين لم تجد ما يقاومها منذ سقط نبوليون الى الآن . نعم ثار المقاومون لها سنة ١٨٤٨ ولكن انتهى الامر بالقضاء على زعمائهم

وقد ظهرت مضار سياسة الجامعة الالمانية بتمهيد حرب البلقان الاولى بخيبة المساعي لانشاء مملكة جديدة في المانيا التي سبَّبت حرب البلقان الثانية . وبعدم انصاف شعوب البلقان وعدم تركهم لانفسهم وشل يد الحكومة الالمانية حينما اهتمت بامر السلم . كل ذلك سببهُ اعمال الجامعة الالمانية والى دسائسها ينسب ما فعلتهُ المانيا اذ رفضت أن تمنع النمسا عن تهديد السرب وابت ان تشترك في مؤتمر اوربي لحل هذه المشكلة . وهي التي جعلت اركان الحرب يضطر امبراطور المانيا الى اعلان الحرب على فرنسا لاسباب لم تثبت صحتها بل ثبت الآن انها مختلفة . ولما تجاسر الامبراطور ووزيرهُ على ارسال رسالة الى النمسا يشيران بها عليها ان لا تكدر صفاء السلم اوقف ڤون ڤشرسكي السفير الالماني هذه الرسالة ولم يوصلها الى الحكومة النمسوية او اوصلها على اسلوب يغير معناها لانهُ من اعضاء الجامعة

الالمانية . وقد نسب جنسكو وزير رومانيا السابق التهجم على سربيا الى ثلاثة من اعضاء الجامعة الالمانية وهم الكونت تسرنا وزير الحجر وفون تشرسكي سفير المانيا وفورغاش صنيعتها في النمسا . ثم لما كاد الاتفاق يتم بين روسيا والنمسا قبل اعلان الحرب قام اعضاء الجامعة واذاعوا في طول البلاد وعرضها ان روسيا شرعت في تعبئة جيشها وساعدتهم الجرائد الحربية والجرائد الاكليريكية (الدينية) على جاري عادتها . فالجامعة الالمانية القت بالمانيا وباوربا كلها في اتون هذه الحرب الزبون معتمدة على الكذب والخماس الكاذب والتبجح بالوطنية . واضطر الامبراطور وحكومتهُ الى مجاراتها لانها كانت قد اعدت الافكار اعداداً تسهل مقاومتهُ فنودي بالتعبئة العامة وهي آلة فعالة لاعمال الجامعة لانها تستلزم ابطال كل سلطة غير عسكرية

وفي الثلاثين من يوليو اي قبلما أعلنت المانيا الحرب فعلاً باربعة ايام نشرت جريدة اللوكال انزيجر في كل مدن المانيا انهُ صدر الامر بالتعبئة العامة . وهو اختلاق منها ولكنها جريدة شبيهة بالرسمية يديرها ولي العهد فغلّت يدي وزير الامبراطورية واثبتت لكل احد ان الحرب واقعة لا محالة . وأُرسل الخبر بالتلغراف الى روسيا حالاً فثبت للروس ان الحكومة الالمانية امرت بالتعبئة العامة فاضطروت روسيا من اقصاها الى اقصاها . وأُرسلت الى روسيا تلغرافات من برلين تكذب هذا الخبر ولكن مصلحة التلغراف اوقفتها ولم ترسلها الاَّ بعد ما شاع خبر التعبئة وعملت روسيا بما يستلزمهُ

والخلاصة ان الحرب نشبت باختلاق الاخبار الكاذبة عن فرنسا وبتأخير تلغرافات النفي عن روسيا . وكأنَّ كلاً من المانيا وفرنسا وروسيا وقفت حينئذٍ وقفة الحيرة وهي تقول ماذا افعل وكل امةٍ من هذه الامم الثلاث شاكية السلاح الى النحر

حيلة اختلقتها الجامعة الالمانية كما فعل بسمارك لما حرَّف التلغراف في ايمس فدعا الى اثارة الحرب بين فرنسا وبروسيا سنة ١٨٧٠

وقد قام كاتب ممتاز في الوقاحة سمَّى نفسهُ يوليوس اولتر فطعن على الوزير بتمن هلمغ طعناً فاحشاً مصوِّباً ما فعلتهُ اللوكال انزيجر بقولهِ

« لقد عملت المانيا كلها ان الساعة قد حانت الاَّ بتمن هلمغ فانهُ بقي يرجو ان يحل الاشكال حلاً سلمياً او تنحصر الحرب في النمسا وسربيا . وواضح انهُ بذل كل جهدهِ حتى الساعة الاخيرة ليمنع وقوع ما لا بدَّ من وقوعهِ ولو كلَّفهُ ذلك معها كلفهُ غير ملتفت الى المقتضيات الحربية . وكثيراً ما قال لهُ اركان الحرب ووزير الحربية ورؤساء البحرية ان لا

بدٌ من التعبئة العامة فلم يتخلوا ولم يقنعوا الامبراطور بوجوب ذلك الاَّ بعد الجهد الجهيد. ويوم الثلاثاء في ٣٠ يوليو جاء اعلان التعبئة في نشرات البوليس والوكال انزيجر ولكن بثمن هلفغ نفاذُ وابطل فعلهُ حينئذٍ »

وقد ناقض رجال الحربية اوامر الحكومة في امر بلجكا قال بولوبوس اولتر في هذا المعنى « ان مسألة ضم بلجكا الى المانيا صارت لدى وزير الامبراطورية كل مدة الحرب مثل الخرقة الحمراء لدى الثور في اسبانيا (اي مكروهة جدًّا) لانهُ لما خرق حياد البلجيك في ٤ اغسطس سنة ١٩١٤ وعد انهُ يكفّر عمَّا فعلهُ فكيف يستطيع ان يضمها الى املاك المانيا بعد هذا الوعد. وقد نسي مصالح المانيا وحسبنا ذكر انفرس للدلالة على اهمية هذه المصالح وهذا شأنهُ من اللين مع فرنسا ناسيًا ما خسرتهُ في معارك الفوسج والموز وانهُ يجب علينا ان لا نبقي تلك الاماكن لغيرنا بل نحتفظ بها لكي نتمكن من مقاومة انكلترا — كل ذلك نسبهُ الوزير بثمن هلفغ على ما يظهر »

وهذه المطالب واشباهها مثل امتلاك بلجكا وهولندا واجتياح الولايات الشمالية من فرنسا وجعل بولون اكبر مرفإ بحري في اوربا واخذ غرامة فاحشة من باريس كانت من المواضيع التي يتناولها البحث دائمًا في حلقات الجامعة الالمانية لما كان كاتب هذه السطور في المانيا سنة ١٩١٣. ولم يكن الجمهور يعلق شأنًا كبيرًا عليها وكانت وزارات المانيا تناقضها ما عدا وزارة الحربية ووزارة البحرية لكن نجاح الجامعة في اثارة الحرب ولاسيما في استخدام النواصات القت الضياء بين وزير الامبراطورية ووزير البحرية

والظاهر ان الامبراطور ايَّد وزيرهُ اي ايَّد الحزب المعتدل كما يستدل من استعفاء ملتكي وتربتز وفلكنهين لكن الحزب المتطرف لم يضعف عزمهُ فبقي على سياسة الارهاب بالنواصات والبالونات للقتل والتخريب فخسرت المانيا ادبيًّا اكثر مما كسبت ماديًّا

والمسألة المهمة الآن ليست ما هو السبيل لسحق المانيا بل ما هو السبيل لتخليصها من هذه الفئة الطاغية فئة الجامعة الالمانية. وتخليصها منها لا يكون الاَّ بيد الالمان انفسهم. والظاهر انهم سيفعلونهُ فان سائط الكونت رفنتلو وامثالهِ اخذت تحط وجعلت اصوات طالبي الحكم الدستوري تزيد جلاءً. فاذا تمكنوا من التغلب على آراء اصحاب الجامعة الالمانية ومطامعهم ونظروا الى مصالح بلادهم بعين العقل والتروي ودخلوا البيوت من ابوابها وانقاد خصومهم اليهم انعقدت الآمال بانحلال مشكل من اعقد مشاكل العمران. ولا يصلح العالم الاَّ اذا انفصلت القوة الحربية عن المصالح المالية انفصالاً تامًّا

وزير الامبراطورية الالمانية

ابان الاستاذ داود ستار جوردان في المقالة المشورة آنفاً ما هو الدافع الاصلي لاثارة الحرب الحاضرة . وادلتهُ على ذلك من اقوى الادلة لكنهُ كاد يبرئُ الامبراطور ووزيرهُ من المسؤولية . وقد وقفنا على مقالة اخرى لكاتب سياسي من المحايدين نشرتها مجلة لندن يظهر منها انهُ من كبار رجال السياسة ومن عشراء وزير الامبراطورية الالمانية قال فيها ما خلاصتهُ

ان الدكتور بتمن هالفغ يُعَدُّ الآن ثانياً للامبراطور المانيا ويُحسب لهُ شأن كبير فيما تطمح اليهِ انظار الالمان من الاستيلاء على المسكونة . وقد لقيتهُ اول مرة منذ ٢٥ سنة في موتخ حيث كنت ضيفاً مع بعض الرفاق وكان حينئذٍ موظفاً في وزارة المالية كاتباً يراتب لا يزيد على ١٨٠ جنيهاً في السنة

كان في نحو الخامسة والثلاثين من عمرهِ طويل القامة كثير الحياء نفوراً من الناس كأن غرضهُ الاول ان يبقى بعيداً عنهم . قضى اكثر وقتهِ وهو في بيت مضيفهِ في مكتبتهِ بين كتبها الكثيرة وكان هذا شأني انا ايضاً اي اني قمت اكثر الوقت معهُ في مكتبة مضيفنا فتمكنتُ من التغلُّب على ما بهِ من الوحشة فآنس بي بعض الشيء . وكنت اكبر منهُ سنًّا ولكنني رأيتُ انهُ يجد التكلُّم معي اسهل عليهِ من التكلُّم مع الضيوف الذين من سنهِ لان اكثرهم من الضباط الذين لا جامعة بينهُ وبينهم

وكان قد تلقى دروسهُ في جامعة بون وبرَّز على الاقران فيها ولو اتَّبع ميلهُ الطبيعي لانقطع للعلوم الفلسفية لكن والديهِ لم يرضهما الاَّ انتظامهُ في سلك رجال الحكومة فعمل حسب مشيئتهما على جاري عادة الالمان

ولما لقيتهُ لم يكن يحسب انهُ يرتقي الى منصب عالٍ وكانت اعمالهُ في الديوان قليلة فانهُ كان يعمل من الساعة العاشرة صباحاً الى الرابعة بعد الظهر فيبقى في سعة من الوقت للدرس والمطالعة وكان من المنتظر انهُ يرتقي الى اعلى منصب في المكان الذي هو فيهِ وراتب هذا المنصب ٦٠٠ جنيه في السنة

لما كان يدرس في جامعة بون كان الامبراطور الحالي ولياً للعهد وكان يتلقى دروسهُ ايضاً . وقد اخبرني ونحن في المكتبة المشار اليها آنفاً بامر حدث لهُ وهو في السنة

الثانية في جامعة بون نبَّه ولي العهد اليه ولعلهُ كان السبب لاختياره اخيراً وزيراً للامبراطورية لالمانية وما ترتب على ذلك من اثارة هذه الحرب. فانهُ كان من اعضاء جمعية الخطب والمباحثات في تلك الجامعة ولم يكن يحسن الخطابة فكان يحضر الجلسات ولا يشترك فيما يدور فيها من البحث والمناظرة لكن رئيس الجمعية (وهو الآن وزير المستعمرات) اقتنعهُ ذات يوم ان يشترك في مباحثة موضوعها مستقبل الامبراطورية الالمانية وحضر ولي العهد تلك المباحثة فلما جاء دور هلمُغ وقف والتفت الى الرئيس ثم الى الاعضاء وكأنهُ نسي كل ما كان عازماً ان يقولهُ مع انهُ كان قد كتبهُ واستعدَّ لهُ فقال «المانيا» ووقف ثم قال «المانيا» ثانية ووقف ثم قال «المانيا» ثالثة وحصر عن الكلام وجلس خجلاً. فاستدعى الرئيس واحداً آخر طلق اللسان فنهض حالاً وتكلَّم مرتجلاً. ولما انتهت المباحثة استدعاهُ ولي العهد الى غرفتهِ. وهاكذا مورد ما قالهُ لي في هذا الصدد بحرفهِ قال

«لما بلغني طلب ولي العهد لي ظننتُ انهُ يريد ان يوبخني لانني تجاسرت على الوقوف للتكلم في هذه الجمعية وانا لا استطيع الكلام وهي ذات مقام رفيع وكان ولي العهد يحسب لها شأناً كبيراً. ولما دخلتُ غرفتهُ وجدتهُ وحدهُ فحيَّاني بلطف زائد وجعل يتكلم عن المباحثة فحاولتُ ان اعتذر بانني كنتُ اعلم قصوري وضعفي ولم اتجاسر على النهوض للكلام الاَّ طاعة لامر الرئيس وبسبب الحاحهِ. فقاطعني وقال لي «اني اعلم ذلك كلهُ ومرادي ان اقول لك ان الكلمات الثلاث التي قلتها اي المانيا المانيا المانيا هي ابلغ خطبة سمعتها هذا المساء لانها عبَّرت عن مستقبل المانيا احسن تعبير» ودعاني للعشاء معهُ تلك الليلة فتعشيت وبعد العشاء اريتهُ الخطبة التي كتبتها فرآها وقال ان كلماتي الثلاث اولع في نفسهِ منها

والظاهر ان الامبراطور لم ينسَ ذلك لان ارتقاء هلمُغ كان سريعاً جداً وصار الامبراطور يدعوهُ اليهِ من وقت الى آخر و ينزلهُ عندهُ ضيفاً ولكن لما لقيتهُ انا في موفغ لم يكن يعلم شيئاً مما اضمرهُ له. وكانت عرى الصداقة وثيقة حينئذٍ بين انكلترا والمانيا واذكر اني ذكرتُ في الليلة الاخيرة من قيامنا هناك اسم انكلترا فقال «اني آمل ان ازورها قريباً» ثم قال كأنهُ يخاطب نفسهُ «لولم اولد بروسيًّا لوددت ان اولد انكليزيًّا»

ومن الغريب انهُ صار بعد اقل من ربع قرن آلة في يد الامبراطور لتعمل بسياسة مقتضاها القضاء على الامبراطورية البريطانية

ثم لقيتهُ مراراً كثيرة بعد ذلك وعرفتهُ معرفة تامَّة وسأقتصر فيما يلي على ما سمعتهُ منهُ وما سمعتهُ عنهُ من اقرب المقربين اليهِ وما عرفتهُ بنفسي من امورهِ . وانا واثق انهُ لم يتطلَّب في اوليات ايامهِ صداقة الامبراطور فبعد ان لقيتهُ اولاً بضع سنوات جاءتهُ دعوة من الامبراطور او امر منهُ ليتمشى معهُ ببرلين فحضر في الميعاد وجلس على مائدة مستديرة عليها الامبراطور والامبراطورة وبعض اعضاء البيت الامبراطوري . وقد قال لي في هذا الصدد ما نصهُ : « لا اظن انني قضيت في حياتي كلها عشيَّة تضايقتُ فيها اكثر مما تضايقت تلك العشية فانني كنت مضطرًّا ان اشرب الشمبانيا دواماً وانا اكرهها . وقد دهشتُ جدًّا من نوع القصص التي كان الامبراطور والذين معهُ يقصونها على مسمع الامبراطورة وظننت ان كل احد حسب اني في منتهى البلادة لانني لا اقصُّ قصصاً مثلها . ولما انتهى العشاء وكنت قد شربت من الشمبانيا الى حد السكر امر الامبراطور خادماً ان يملأ كأسي ثم رفع كأسهُ الى فيهِ وقال الَيك يا هلفج نشرب هذا على ذكر الجامعة التي تعلمنا فيها . فاضطررت ان اجاريهُ واشرب كأسي كلها فاصابني صداع شديد كل اليوم التالي »

هذا كان اول اجتماع اجتمع فيهِ بالامبراطور بعد مغادرتهما المدرسة . والتقيت انا بهِ مرةً في بيت البرنس فرستنبرج ببرلين وذكَّرتهُ بما اخبرتهِ عن عشائهِ الاول مع الامبراطور فنظر اليَّ شزراً وقال « يستحيل ان اكون قد قلتُ هذا القول عن جلالتهِ » . والظاهر انهُ كان قد رأى من الامبراطور ما اوجب عليهِ ان لا يذكر اسمهُ الاَّ بالتجلة والاكرام حتى لاعز اصدقائهِ فان نِعَمَ الامبراطور التي توالت عليهِ جلت لسانهُ واستعبدتهُ والاحسان يستعبد الانسان ولولا ذلك ما انقلب هذا الانقلاب وصار يحمل من الاعمال ما كان يكرههُ او يجتنبهُ . ومثال ذلك ان رجلاً اسمهُ البارون هوهنستين وهو من اصدقاء الامبراطور وانسبائهِ الابعدين كان غنيًّا جدًّا وبحبًّا للهذر والمزاح حتى يستحق ان يسمَّى ضحَّاك القصر الامبراطوري . وكان الامبراطور يسر جدًّا بحديثهِ ونكتهِ وقد اخبرني هلفج انهُ لم يكن يطيق هزل هذا البارون ولكنهُ اضطر ان يضيفهُ ويستضيفهُ مراراً كثيرة اكراماً لخاطر الامبراطور . وذات ليلة كان هلفج يتمشى عندهُ مع الامبراطور وبعض رجال حاشيتهِ ودار احديث والمزل والضحك وهلفج جالس كالصنم لا يأكل ولا يتكلم فالتفت اليهِ البارون وقال لهُ مالك أمريض انت . فاجاب انا مثل صاحب الجلالة . فقال الامبراطور ان كنتَ مثلي فانت في اجود صحة . فقال اذا كنتم جلالتكم كذلك فلا يكون عبدكم الاَّ معافى . فالتفت اليهِ البارون وقال لهُ اوضح لنا ما تقول . فقال الامبراطور انا فهمت مرادهُ

ثم التفت اليهِ وقال لهُ خير لك ان تمضي الى بيتك . فقام ومضى . وكان مرادهُ انهُ ان كان الامبراطور راضياً بهذا المزل المعيب فهو مضطر ان يرضى بهِ (وكلة مريض عندهم تحتمل معنى المرض ومعنى الكدر مثل كلة غير مبسوط العامية عندنا فاستعملته هنا بمعناها الرضي ومعناها الاستعماري) . وقد قصَّ عليَّ هذه القصة رجل من رجال السفارات الاجنبية في برلين كان مدعوًّا للعشاء ايضاً

ولا شبهة ان هلنغ اضطرَّ ان يجاري الامبراطور ورجال الحزب الحربي والحزب السياسي مثل فلكنهين وهندنبرج والبرنس بولو وغيرهم بعد ان كان مناقضاً لجعل القوة الحربية الدعامة العظمى للسلطنة

وكان رأي هندنبرج فيهِ ضعيفاً جدًّا وقد سمعتهُ مرةً يقول «ان هلنغ لا يصلح لغير الدرس والمطالعة فانهُ يفهم الكتب ولكنهُ لا يفهم الرجال وحسبي الذي نفق بالاسس اقدر منهُ على فهم الرأي العام» وكان ذلك في وليمة اولمت بعيد تعيين هلنغ رئيساً لبرمبرج سنة ١٩٠٢ ولا شأن لهذا المنصب لذاتهِ ولكن صاحبهُ يتدرَّج الى اعلى المناصب في الامبراطورية الالمانية

وذات يوم كان هندنبرج وهلنغ ضيفين عند ولي العهد في قصر مارمور ودار البحث وهم يتغدون على اطالة المناورات الحربية اسبوعاً ولم يشترك هلنغ في البحث الاَّ بعد ما سألهُ ولي العهد عن رأيهِ فقال اني لا اعرف كثيراً عن هذا الموضوع ولكنني لا ارى سبباً موجباً لاطالة مدة المناورات

فقال هندنبرج «لا اظن ان هلنغ يرى سبباً موجباً لشيء الاَّ قراءة كتاب لا يفهمهُ احد غيره» فانكر ولي العهد ذلك على هندنبرج ولكنهُ تلطف في الانكار

ومن الغريب ان هلنغ وهو عالم وفيلسوف اقام سنين كثيرة مصافياً لولي العهد وهو جاهل غرور مدَّعٍ . وقد يقال ان هلنغ سار في السبيل المؤدي الى اسمى المناصب السياسية فاضطر ان يحاسن ولي العهد ولكن تدل الدلائل على انهُ كان يحاسن ولي العهد ويجاريهِ لمودَّة حقيقية بينهما . وقد تداولت الالسن قصة تدلُّ على ما بينهما من اواصر الوداد وذلك ان امرأةً في نحو الثلاثين من عمرها قتلت عشيقها في برلين لانهُ هجرها فحوكمت واعترفت بما فعلت فحكم عليها بالقتل وأُبدل العقاب بالاشغال الشاقة مؤبداً ثم أُطلق سبيلها بعد بضعة اشهر على شرط ان لا تقيم في المانيا . ويقال ان هلنغ كان حينئذٍ في وزارة الداخلية

وانهُ تولى النظر في امرها ترضاةً لولي العهد لان هذا كان يعرفها منذ كانت مغنية فاقنع الامبراطور بالعفو عنها . والظاهر ان تصرُّفهُ في هذه المسألة من غير « قيل وقال » رفع قدرهُ في عيني ولي العهد

والخلاصة ان بتمن هلفغ ارتقى الى اعلى منصب في الامبراطورية الالمانية لا لانهُ امتاز على غيره بدهائهِ السياسي بل لان امبراطور المانيا اصطنعهُ . وقد تدرَّج في الارتقاء من منصب الى آخر من غير ان يشتهر اسمهُ او ترشحهُ الامة الالمانية فلم يكن لها يد في ارتقائهِ كما لا يكون لها يد في جعل الامبراطور يشتري هذا الفرس اذ ذاك الخروف . ومن ثمَّ يتضح كيف ان الحكومة الالمانية حكومة مطلقة زمامها في يد رجل واحد مطلق التصرُّف على ضد ما هي عليهِ الحكومة الانكليزية . والشعب الالماني خاضع لامبراطورهِ خضوع الولد لابيهِ وليس لهُ رأي سياسي خاصٌّ بهِ بل رأيهُ ما يريدهُ الامبراطور

وسنة ١٩٠٥ جُعل هلفغ وزيراً للداخلية في بروسيا وحينئذٍ عرف جمهور الشعب اسمهُ ثم جُعل مساعداً لوزير الامبراطورية وكان البرنس بولو . ولما كان هلفغ وزير الداخلية انطبع بطابع الحزب الحربي ثم تطرَّف في مذهب الجامعة الالمانية حتى قال البرنس بولو . سمعتهُ يخطب في مونخ سنة ١٩٠٨ فقال انهُ لاشيءٌ يقلق بال المانيا الآن من حيث علاقاتها الخارجية ولكن حاضرها ومستقبلها كدولة عظيمة يجب ان يتعلقا على قوة ذراعها . وذراعها الآن اقوى مما كانت في اي وقت كان ومع ذلك يجب ان تزيد قوةً

وكانت تلك الخطبة من الخطب التي يسرُّ بها الامبراطور في الفخر والتحدّي . والواقع ان الامبراطور اعدَّها لهُ وامرهُ ان يلقيها لتكون درساً للبرنس بولو فان الامبراطور لم يكن راضياً عنهُ حينئذٍ . ومَن يطَّلع على الحوادث التي حدثت بعد ذلك الحين يرى فيها بوادر الشر والاسباب التي انتجت هذه الحرب فان البرنس بولو رأى حينئذٍ ان الامبراطور انقاد الى الحزب الحربي انقياداً تامًّا ولم يكن هو على رأيهِ ومن المحتمل انهُ لو بقي وزيراً للامبراطورية لما نشبت الحرب وكانت الدوائر السياسية في برلين تعلم ان البرنس بولو يصد الامبراطور عن الانقياد الى الحزب الحربي وهو الذي طلب منهُ سنة ١٩٠٨ ان لا يفوه بخطبة ما لم يرَها هو اولاً ويصادق عليها . لانهُ كان يتكلم من وقت الى آخر بما يخطر لهُ فيقيم اوربا و يقعدها . وقد طلب البرنس بولو ذلك منهُ كتابةً فاستدعاهُ الامبراطور اليهِ ولا يُعلَم ما دار بينهما من الحديث حينئذٍ ولكن البرنس فورستنبرج اخبرني

انهُ لما رأى للامبراطور ان البرنس بولو مصمم على ما كتبهُ وعازم على الاستعفاء اذا لم يجبهُ الامبراطور الى طلبهِ وضع يدهُ على كتفهِ وقال لهُ « اني اذا جادتك الآن كما اجلد فرسي وامرتُ خدمي ان يخرجوك من هنا رفساً بافدامهم فيكون ذلك مما تستحقهُ ولكنني عازم ان ابقيك في منصبك الى ان اطردك منهُ طرداً في الوقت المناسب »

وهذه آخر مرة قابل فيها البرنس بولو الامبراطور منفرداً لكن ما طلبهُ من الامبراطور ارقعهُ في حيرة لانهُ لم يجد من بعينهُ وزيراً للامبراطورية بدلاً منهُ ويرضى ان يكون آلة في يديهِ ويد الحزب الحربي يتكلم بلسانهما ويعمل حسب مشيئتهما الا بتمن هلنغ . ولم يكن مقتنعاً انهُ كفوء لهذا المنصب فاضطرَّ ان يعمل بما طلب منهُ البرنس بولو وصار يعرض خطبهُ كلها عليهِ قبلما يفوه بها فاستراحت اوربا برهة من الزمن وكان الراسخ في الاذهان ان هذا الامر لا يطول لانهُ يتعذر على الامبراطور ان يرضخ لحكم وزيرهِ طويلاً فلا بدَّ لهُ من عزلهِ ولو لم يكن احد يصلح للقيام في مكانهِ ولكن رسخ في الاذهان ايضاً انهُ اذا عُزل البرنس بولو زال آخر قيد يقيد الامبراطور عن الجري على مقتضى طبعهِ وحبهِ للحرب وطمعهِ في التسلُّط على العالم

ولما تلا هلنغ الخطبة المشار اليها آنفاً قدَّم البرنس بولو استعفاءهُ الى الامبراطور فلم يقبلهُ اما لانهُ كان يريد ان يعزلهُ عزلاً او لانهُ لم يكن واثقاً ان هلنغ يعمل حسب مشيئتهِ تماماً بلا سؤال ولا خوف ولا تردُّد

وكان امام هلنغ حينئذٍ سبيلان الواحد ان يستعفي من خدمة الحكومة فينسى اسمهُ ولا يبقى لهُ ذكر يذكر . والثاني ان يستمر في الخدمة ويرتقي الى اسمى المناصب ولكن ذلك يضطرهُ الى اثارة حرب عوان لا تذكر في جنبها كل الحروب الماضية . فلا عجب اذا تردَّد في اول الامر لان السِّلم من طبعهِ والحرب من اكره الاشياء لديهِ . واني لا عجب من اختيارهِ الخطة التي اختارها وهي على ضد طبعهِ . تعشيت عندهُ في تلك الاثناء عشاء عائليًّا انا وثلاثة غيري وهم الدكتور فردرك هلنغ ابن عمهِ وفون كيج وزوجتهُ وهي اخت بتمن هلنغ . وفون كيج هذا من اظرف الناس وافكههم حديثاً ولا سيما في ما يرويهِ من القصص الهزلية ومن القصص التي قصَّها علينا ان بتمن هلنغ ضعيف الذاكرة جداً حتى لقد يرى اخاهُ وينسى انهُ اخوهُ دخل يوماً دكاناً منفرداً حيث يشرب الشاي حاسباً انهُ لا يجد هناك احداً يعرفهُ ولما شرب فنجان الشاي دفع ثمنهُ للابنة التي تقبض الثمن من الزبائن فشكرتهُ وسمتهُ باسمهِ فاستغرب ذلك وقال لها كيف عرفت ان هذا اسمي فقالت لهُ لقد كنت خادمةً في بيتك

سبع سنوات ولم اخرج من عندكم الاَّ منذ سنة . ولما قص القصة التفت الى هلفنغ وقال لهُ كذبني ان لم تكن القصة صحيحة فاشار هلفنغ برأسهِ اشارة التصديق فقلت انا لكنيخ كيف عرفت انت هذه القصة فقال اني كنت جالساً معهُ على المائدة التي كان جالساً عليها ولكنهُ لم يعرفني . فضحكنا كلنا وشاركنا هلفنغ في الضحك

وبعد مضي ثلاثة اشهر على هذا العشاء عزم هلفنغ ان يستلم للامبراطور جداً ونفساً على قول ابن عمهِ فردرك هلفنغ وبعد ذلك عُزل البرنس بولو ونُصب هلفنغ في مكانهِ وزيراً للامبراطورية الالمانية وذلك سنة ١٩٠٩ ومن ثم صار آلة في يد الحزب الحربي ولسانًا ناطقاً بمقاصدهِ ومن اقوى الايدي المنظمة لقوى الامبراطورية الالمانية حتى تغلب على المسكونة كلها حينما تأزف الساعة

ومرَّت سنتان على تربعهِ في هذا المنصب لم يبدُ فيها منهُ شيء يستوقف نظر الجمهور ولكنهُ كان كثير العمل فيها لان المانيا كانت تستعد للحرب استعداداً متصلاً وهو يرشدها في ذلك ويحرص حتى يكون استعدادها سرًّا وعلى اتم السرعة والكتمان . ولم التق بهِ حينئذٍ الاَّ قليلاً لكنني كنتُ ارى آثار الهم والتعب بادية على وجههِ وقلت لهُ مرة اراك كثير التعب فاذا دمتَ على هذا المنوال رزحتَ تحت حملك فقال « اصبتَ وانما يقتل الانسانَ همهُ والشغال بالهِ لا عملهُ وتعبهُ » ولا شبهة في انهُ كان مهموماً جدًّا حينئذٍ ولو لم اكن اعلم سبب همهِ

وبعد ستة اشهر وقعت حادثة اغادير في المغرب الاقصى وذلك في اغسطس سنة ١٩١١ وكادت المانيا تعلن الحرب على انكلترا . وتفاقم الخطب لان الامبراطور والحزب الحربي كانوا يطلبون الخروج الى الحرب حالاً . وكان هلفنغ يتوقع ذلك منذ اشهر وقد بذل جهدهُ في تأجيلهِ لانهُ كان يعلم ان استعداد المانيا لم يكن قد صار على اتمهِ . وقد بلغني انهُ في الليلة التي كان الناس ينتظرون ان تعلن المانيا الحرب فيها قابل هلفنغ الامبراطور وتوسَّل اليهِ ان يؤجل اعلان الحرب الى فرصة اخرى لان المانيا لم تكن على تمام الاستعداد لها . فاستدعى الامبراطور تربتز وفلكنهين وهندنبرج قُبَيْل نصف الليل وتذاكروا في الامر مليًّا وبعد اربع وعشرين ساعة علم في الدوائر السياسية ان المانيا باعت الموسى ونكصت على عقبها ولا خوف من اعلان الحرب حينئذٍ

وبعد نحو شهرين التقيت بضابط كبير من ضباط البحرية الالمانية كان نازلاً في بيت

كان فيه ثمن هلفغ ضيفاً فاخبرني ان واحداً من الحضور عنّف هلفغ لتكوصه في حادثة اغادير فاجابهُ اشكرْ ربك لانني تمكنتُ من التكوص حينئذٍ ولكن كن على ثقة ان المانيا ما عادت تتكوص بعد الآن بل تضرب حالما تُتحدَّى

ولقد حققت الايام قولهُ . ولا اعلم الى اي حد كان يمتد نظرهُ حينئذٍ ولا كم كان استعداد المانيا للحرب ولكنني اعلم علم اليقين انهُ صار بعد حادثة اغادير الدّ اعداء انكلترا واشد الناس تأييداً لمطالب الجامعة الالمانية . فقد اضطر ان يبذل جهدهُ لمنع الحرب لما رآهُ من عزم انكلترا وحزمها فتمكنت كراهتها منهُ وصار يكرهها مثل اشد تلامذة ترتشكي كرهاً لها ولكنهُ لم يكن يجاهر بذلك الاّ بين اخص اصدقائهِ . وبعد حادثة اغادير بنحو سنتين كنتُ مسافراً من مونخ الى برلين واتفق انهُ هو كان مسافراً ايضاً ونزلنا في مركبة واحدة وحدّثنا فدار الحديث على مواضيع مختلفة الى ان اتصلنا الى السياسة الخارجية وكان مذعوراً في كل ما يقول الى ان وصلنا الى حادثة اغادير فصمت ولم يقل شيئاً الى ان قلت انا ان تلك الحادثة مضت وانقضت وصارت في خبر كان . فاخذتهُ الحدة وقال كلاّ لم تمضِ ولا يمكن ان تمضي ما لم .... ثم توقّف وقال متمهلاً ما لم تأخذ المانيا بثارها من الدولة التي اهانتها

ان تاريخ هلفغ من سنة ١٩١١ فصاعداً تاريخ رجل عائش لغرض محدود يرمي اليهِ في كل اعمالهِ وتدابيرهِ وهو ان تصير المانيا قادرة على قهر غيرها اي ان تحارب عدوها وتقهرهُ غير حاسب حساباً لتأثير تلك الحرب في بلادهِ وفي غيرها من البلدان فانّ قهر الخصم غايتهُ والحرب هي السبيل الى ذلك فلا بدّ منها ولا مردّ لها ولا تردّد في ذلك

كان تربتز (وزير البحرية) يعتمد على التكيل بالعدو لاجل ارهابهِ مثل سائر رجال الحزب الحربي واما هلفغ فلم يكن كذلك في اول عهدهِ فقد سمعتهُ مرة يقول ان التكيل بالسكان غير المحاربين قصد ارهابهم عمل وحشي . ثم غيّر رأيهُ بعد ذلك منقاداً الى تربتز على ما يظهر وسلم بآراء الحزب الحربي . ويظهر مقدار تغييرهِ لآرائهِ من بعض الخطب التي خطبها قبل اتقن الكونت تسبلن بنونهُ بحث الدوائر الحربية والبحرية في مقدار فتكهِ فخطب هلفغ في وليمة بوزارة الخارجية ببرلين كنت مدعوًّا اليها ومدح المخترع لما اظهر من المهارة والهمة واشار الى منافع هذا البلون ثم قال « ولكن لا يحتمل مطلقاً انهُ يستعمل في وقت من الاوقات اتتل غير المحاربين في زمن الحرب بالقاء القنابل عليهم » . وبعد سنين قليلة رحّب بهذا البلون كواسطة لتهديد مدن العدو حتى يسلم او يجربها على رأسهِ

وبعد ما تربَّع في دست وزارة الامبراطورية صار الناس يصغون الى كل ما يقولهُ في مجلس النواب لاعتقادهم انهُ لا يتكلم الاَّ ويأتيهم بامر مهم . وهو غير ماهر في الخطابة فلا يستطيع ان يمتلك قياد سامعيهِ بفصاحتهِ وهذا عيبهُ الوحيد في عيني الامبراطور . وكل خطبهِ الحربية تعرض على الامبراطور فينقحها لهُ . ويظهر لي ان كل ما فيها من العبارات المقعرة هي من انشاء الامبراطور لا من انشائهِ لاني اعرف جيداً اسلوبهُ في الانشاء مثال ذلك قولهُ في ابريل الماضي « اننا لا نخشى الجوع ولا الموت ولا الشيطان » (وفي الكلمات الاصلية شيء من الجناس اللفظي)

وقد قابلتهُ بعيد غرق الباخرة لوز يتانيا فقال لي ان اغراقها جاء اتفاقاً مثل كثير من الكوارث الحربية فلا اهمية لهُ . ثم قابلهُ رجل آخر من رجال السياسة فقال لهُ « ان العالم سيندهش من هذه الفظائع التي ترتكب في هذه الحرب » . وقبل الشروع في ارتكاب هذه الفظائع عرض ان يعقد الصلح مع الدول التي تحاربهُ والمرجح ان الامبراطور خاف من ان تصل هذه الفظائع اليهِ والى بيتهِ وشعبهِ فامرهُ ان يطلب عقد الصلح

وهو من الجبرية الذين لا يقدرون العواقب ولذلك عمل برأي والديهِ لمَّا ارادهُ ان ينتظم في سلك رجال الحكومة وقبل بما طلبهُ منهُ الامبراطور وجارى الجامعة الالمانية في كل مطالبها غير حاسب للنتائج حسابا

ولا اظن ان احداً يستطيع ان يقنعهُ ان المانيا اساءت في عمل عملتهُ او خالفت شرائع الامم المتمدنة لانهُ اذا رأى غاية واعتقد انها حسنة تستحق ان تطلب برُّر كل واسطة تستعمل لنيلها قائلاً ان الامور بمقاصدها اي انهُ لا يعد العمل صالحاً او طالحاً لذاتهِ بل بالاضافة الى ما يرمي اليهِ فيجب ان نستخدم كل وسيلة ممكنة لنيل الغاية المطلوبة فاذا نيلت نيلها والاَّ فلا مهرب من الفشل . وكل ما يحدث في سبيل الوصول اليها من الضرر والالم والشقاء لا شأن لهُ عندهُ ولا يستحق ان يُعنَى بهِ

وهو قوة عائلة في المانيا ما دام الامبراطور وراءهُ يحمي ظهرهُ فاذا تخلَّى عنهُ يوماً ما محي اسمهُ ونسي ذكرهُ كما جرى لرجال اخرين كانوا اعظم منهُ

القَدَرية والجبرية

المسؤولية

طبيعة فكرتها وكيفية تكونها في النفس

(٣)

كلمة المسؤولية من الكلمات المعقدة الدقيقة . ذلك لان مدلولها ليس شيئاً محسوساً نحيط بجميع نواحيهِ ونستطيع الوقوف بالدلالة على ظواهرهِ وخوافيهِ . ولا هو معنى بسيطاً قائماً بالذهن كما يقوم بهِ معنى كلمة الصدق مثلاً . ولكنهُ اثر ونتيجة لاحساساتنا وعقائدنا واعمالنا فيما بيننا وبين انفسنا وفيما بيننا وبين سوانا بل فيما بين غيرنا ممن نصل ونفصل وفيما بينهُ وبين سواهُ . فالواحد منا يحس بمعنى المسؤولية ان ارتكب خطيئة امام ربّهِ وكان متديناً . ويحس بهذا المعنى اذا اساء ظنهُ بغيرهِ من الناس من غير حق . ويحس بهِ ان رأى بائساً يستطيع تقديم المعونة اليهِ ثم يحجم عن اعانتهِ . ويحس بهِ ولكن على شكل آخر ان هو اوصل الاذى الى غيرهِ . ويحس بهِ على شكل ثالث اذا اتى ابنهُ او اخوهُ او صديقهُ امراً نكراً . يحس بالمسؤولية امام ضميرهِ في الاحوال الاولى وامام الناس ايضاً في الاحوال الثانية . يحس بها ويعتقد ان جميع الناس مثلهُ في ذلك مثلهُ ولذلك فهو يحملهم تبعة اعمالهم على نحو ما يظن انهم يحملونهُ تبعة اعمالهِ

ومع تشعب معنى هذه الكلمة وامتدادهِ فانك ترى احساس الناس بهِ احساس ايمان وتسليم بحيث لا يكاد يتسرب الى انفسهم شك في وجود هذه المسؤولية ولا في كنهها وكيفها . وليس ذلك بغريب فيهم فانهم كانوا ولا يزالون يسرعون الى الحكم على اشد الاشياء دقة واكثرها تطلباً للبحث والنظر بسهولة مدهشة في حين تراهم يترددون اذا دعوتهم للحكم في مسألة بسيطة يكفيهم البحث في كل اجزائها والوصول الى معرفة ما جل رسا دق منها . فمسائل الدين كلها : وجود الله . وخلود النفس والعقاب والثواب . والنظريات الاجتماعية والاقتصادية العليا كفكرة العائلة . وحق العقاب . وفكرة الملكية ونحو ذلك — هذه المسائل المعقدة الدقيقة لا تحتمل لديهم مناقشة ولا جدلاً بل هم يرون من السخف النظر والبحث فيها ويطلقون على هذا السخف انواعاً من الاسماء فيسمونهُ التجديف مرة والهرطقة اخرى والسفسطة ثالثة . اما ما انحط الى اسفل من هذه المسائل بدركات فهو

يستدعي تفكيرهم وبحثهم لامكان الحكم فيهِ ككون زيد رجلاً طيباً او رجلاً خبيثاً · وكون عمل من الاعمال يستحق المدح او الذم · وجمال حيوان او قبحه · وغير ذلك من المسائل البسيطة

وظاهر ان هذا تناقض غريب · لان التردد في الحكم يزداد كلما ازدادت المسألة المطلوب الحكم فيها دقة وتعقيداً · فيجب من اجل الوصول الى حكم مقنع تذليل جميع المصاعب وحل كل العقد واستظهار كل الدقائق حتى تصبح المسألة مجموع مسائل بسيطة تحل كلها على طريقة واضحة مقبولة · فكيف يسوغ اذن حل مسألة دينية او اجتماعية او اقتصادية بكلمة في حين اننا ندقق ونبحث اذا اردنا الحكم في اصغر الامور واضعف الاعمال · افليس هذا هو التناقض بعينهِ ؟

لو كان صحيحاً ما يقال من ان الانسان حيوان مفكِّر وطالبنا جميع الناس بالتفكير لكان هذا تناقضاً من غير نزاع · لان مطالبتنا جميع الناس بالتفكير في كل مسألة تعرض عليهم مطالبة بالمستحيل · ولو وقف كل فرد منهم حياتهُ على التفكير لوقف دولاب الاعمال في العالم ووقف بذلك ما يدعو للتفكير · وانما يعيش المجموع الاعظم في كل الامم وغذاؤهُ الفكري الايمان · يعيش على وهم انهُ فكَّر ووصل من تفكيرهِ الى نتائج متينة اتخذها قواعد في الحياة في حين انهُ وجد هذه القواعد محضرة لهُ بواسطة افراد اعدتهم الطبيعية بما وهبتهم من الملكات الخاصة للقيام بوظيفة الفكر في العالم · هؤلاء الافراد يضعون قواعد الحياة لا اعتباطاً ولا نتيجة شهوة من شهواتهم الفكرية بل يضعونها محكومين بماضي الانسانية الطويل · والقواعد التي يضعونها هم او يضعها المتشبهون بهم ولا يكون لها بالماضي لحمة نسب انما هي قواعد ضيقة محكوم عليها مقدماً بالبوار والفناء لان حياتها انما تكون بدخولها في كتاب ايمان العالم · وفصول هذا الكتاب متناسقة فما كان دخيلاً عليها لا يبقى بينها لانها تلفظهُ وتنفيهِ

ولا شيء اشد تنافياً مع الايمان من التحليل والتنسيب (ايجاد النسب بين الاجزاء المختلفة من الشيء الذي تحللهُ) ذلك لان اول ما يستدعيهِ التحليل والتنسيب هو امكان الشك في مجموع ما نحللهُ او في نسبة شيء منهُ لشيء آخر · والشك والايمان نقيضان لا يجتمعان · لذلك كان من اول خصائص الايمان التسليم بالشيء جملةً او نفيهُ جملةً

وهذه النظريات الكبرى الدينية الاجتماعية والاقتصادية تستدعي من اجل تناول الفهم إياها تناولاً دقيقاً تحليلاً طويلاً وملاحظة كثيرة يستلزمان الشك المرة بعد المرة حتى

يمكن الوصول فيها الى نتيجة تقنع العقل . وهذا التحليل وهذه الملاحظة هما من شأن المفكر لا العامل . والنتائج الاخيرة التي يصل اليها المفكر في وحدات ايمان كل فرد من افراد المجموع يأخذها مقياساً للاعمال التي يستلزمها وجوده في الحياة

هذه الوحدات الايمانية يزداد عددها او يقل بانحطاط الوسط او رقيه وبكثرة المفكرين وقلتهم . فكلما ارتقى الوسط قلّت الوحدات الايمانية وكلما زاد المفكرون امكن المجموع ان يرقى الى مكانة من العقل تسمح له ان يشك في عدد اكبر من النظريات . وهذا هو السبب في «تطور» فكرة البطولة والالقاب التي كانت تمنح للعظماء والابطال في متعاقب الدهور . فبينما كنت ترى القاب الالوهية يطلق على مفكرين وعظماء امثال (اردن) الاسكندر في وامثال الآلهة وانصاف الآلهة الكثيرين الحافل بهم تاريخ اثينا ترى هذا اللقب يضعف ويتلاشى من عالمنا الارضي يبقى وقفاً على الاله الاعظم الذي لا تراه العيون ولا تحيط بكنهه العقول . يحل محل الآلهة وانصاف الآلهة الذين كانوا يشرفون الانسانية في التاريخ الاول الانبياء والرسل عليهم السلام

وهكذا ترى هذه الوحدات الجميلة التي كانت موضع القداسة والاجلال في الازمان الاولى ازمان قصر العقل الانساني يرضى بعضها بالخلود في مستودع الماضي معززاً مكرماً في حين لا تستطيع الاخريات الوصول الى هذا المركز من الاعزاز ويكون كل نصيبها ان تذكر في تاريخ الانسانية كوجود عقلي احدد دوره على الزمان ثم هرم وتلاشى

وهذه «التطورات» تسير في حصولها على ستة معينة . تلك الستة هي الضرورة الاجتماعية . فما دامت فكرة معينة لازمة لبقاء الجمعية وتوازنها فهذه الفكرة تدخل حتماً في مجموع الوحدات التي يتكون منها القانون العام لبقاء الجمعية . لهذا كان الناس اكثر ايمانهم بما وراء الطبيعة وبالقوى المصرفة للكون حين كانوا يعتقدون لهذه القوى اثراً فعالاً في نزول المطر وفي حركات الرعد والبرق وفي الصواعق وفي غير ذلك مما يؤثر في حياة الاجتماع بالخير والشر . فلما بدت تباشير العلم وابتدأوا يوقنون ان الصواعق والمطر والخسوف والكسوف كلها ظواهر تسير على قوانين ونواميس معينة قل ايمانهم الاول بما وراء الطبيعة واصبحوا يحسون بان الصلات التي كانت تربطهم بتلك القوى تتلاشى شيئاً فشيئاً حتى جاء مذهب الوضعيين (les positivistes) في النصف الاخير من القرن التاسع عشر واساسهُ درس السنن والقوانين التي تحكم الطبيعة وتصرف حياة الاجتماع من غير تعرض

بخير او شر احترام او تحقير للقوى الاصلية التي يقول بعضهم بوجودها في حين ينكرها آخرون انكاراً تاماً

ولهذا ايضاً « تطورت » الفكرة المسيحية في قداسة الزوجية . فبعد ان كانت الزواج عقداً بين شخصين لا انفصام له ما بقيا على اعتبار ان هذه الوسيلة هي الوحيدة التي تضمن توازن الاجتماع تطورت هذه الفكرة بتطور الزمان وبحكم الضرورة الاجتماعية واضطرت الكنيسة ان تدخل الى شريعتها فكرة الانفصال بين الزوجين . ثم ادخلت القوانين المدنية نظرية الطلاق وكذلك قضي على الفكرة الاولى بعد اذ كانت آية من آي الاجتماع في العصور الماضية . ولقد صاحب هذا التطور في الايمان بفكرة العائلة تطور آخر يختص باعتبار المرأة وتقديرها ذلك انهُ لما كانت رابطة الزوجية الاولى عقدة لا انفصام لها تقضي بوجود المرء وزوجه معاً طول الحياة عمل في هذه الرابطة قانون الطبيعة العام قانون التنافس وسيادة الاصلح والاقوى فدخل الى النفوس اعتبار المرأة متاعاً للهو الرجل وشهوته وتكونت في النفس الاجتماعية فكرة تحقير المرأة . والنفس الاجتماعية تشمل نفوس الرجال والنساء معاً . لذلك كانت المرأة المسيحية في الازمان الاولى محتقرة في عين الرجل وفي عين نفسها فلما بدأ احساسها بوجودها بتكون بدأت ايضاً فكرة القداسة المطلقة لرابطة الزوجية تتجزز وتتطاير فلم يبق الا ذكراها في الاذهان والعقول

مثل هذه التطورات حصلت في كل الوحدات الايمانية وهي كما قدمنا النظريات التي يحس بها الضمير العام كضرورات اجتماعية لا غنى عنها لحفظ كيان الجمعية وحسن توازنها . والتطور لتقدم او تأخر وليس سكوناً لان السكون والحياة لا يجتمعان . اذن فحمل كل وحدة ايمانية لتطور تحل وحدة اخرى تصل لتكون جزءاً من مجموع النظريات التي يؤمن بها المجموع . ولكن على مقدار رقي هذا المجموع وانحطاطه يترتب بقاء هذه النظريات جامدة اجيالاً من الدهر او يتسرب الشك اليها بين حين وحين

وهذه الوحدات الايمانية تدخل الى نفس الفرد من يوم وجوده وسط الجماعة وتكون معهُ وتبلغ اشدها متى بلغ هو اشدهُ وتصبح بذلك قسماً منهُ يسمي الناس ضميرهُ . فضمير الفرد هو انعكاس الوحدات الايمانية اللازمة لحياة الجماعة على نفس الفرد . وهذا الانعكاس يحصل حتماً لان حياة الفرد واغباطهُ معلقان على اغباط الجماعة في حياتها . فهو مكره على احتمال كل ما تتصورهُ الجمعية من ضرورات الوجود بالنسبة اليها

هذا الانعكاس لقواعد حياة الجماعة في نفس الفرد يكوّن عنده احساساً خاصاً بأن مخالفته لهذه القواعد تجر عليه جزاء محتوماً . وهذا الاحساس ناتج من ايمانه بضرورة هذه القواعد لحفظ كيان الجمعية وانهُ هو قسم من هذه الجمعية يتأثر بما تأثرها به في جهة الخير او الشر . فلما كانت الجمعية تؤمن بالقوى التي فوق الطبيعة وتعتقدها مصرفة للمطر والبرق والرعد والصواعق انعكس ايمانها هذا في نفوس الافراد واصبحوا يحسون امام هذه القوى بعبودية خاصة تستتبع استرضاء كل فرد لها والاَّ حلَّ به الجزاء . كذلك لما كانت فكرة العائلة والزوجية احدى وحدات ايمان الجماعات كان هناك في نفس كل فرد شعور خاص بان مخالفة هذه الفكرة يجر حتماً اوصاباً ومصائب لا نهاية لها . وهكذا كانت كل وحدة ايمانية اجتماعية تبعث الى نفس كل فرد نوعاً من العبودية امامها والتقديس لها والاعتقاد بان مخالفتها تؤدي الى بوار كبير . وهذا هو الاساس الذي بنيت عليه فكرة المسؤولية في نفس الافراد

هذا التحليل لفكرة المسؤولية يوضح السبب الذي يجعل هذه الفكرة معقدة ودقيقة . فانها ترتكز على ادق مظاهر النفس الانسانية نعني به الضمير الفردي القائم كما بيناً على اساس وحدات الايمان التي تكونها ضرورات الحياة الاجتماعية . فمن اجل تفهم فكرة المسؤولية يجب تفهم معنى الضرورات الاجتماعية وطريق انعكاسها في نفس الفرد وكيفية تكوينها لضميره الذي هو مصدر احساسه بالمسؤولية . ولما كانت فكرة الضرورات الاجتماعية التي هي اساس كل هذه النتائج تحتاج في تفهمها الى التدقيق وتحليل الوحدات الايمانية وكان هذا التحليل يستدعي افتراضات وشكوكاً تتنافى مع طبيعة الايمان لجأ الاكثرون الى نعيم الاغباط والاستسلام وضلَّ آخرون في تيهاء الشكوك المنطقية وجعلوا يتلمسون لفكرة المسؤولية اسساً غريبة ترجع الى طرق تعاليمهم . فبينما يقول جماعة ان اساس المسؤولية حرية الارادة واختيار الفرد لاعماله في الحياة يقول آخرون انها مظهر من مظاهر الضمير على اعتبار ان الضمير وحدة قائمة بذاتها تخلق مع الفرد يوم يُخلق . ويقول البعض انها فكرة العدالة . ويقول غيرهم انها متعمدة وانما اوجدتها الضرورة الاجتماعية . ويقول غير هؤلاء واولئك الوالاَ يشعر الانسان انها لم تصدر عنهم يريدون بها الوصول لتحليل الفكرة بالذات مخلصين لها بحثهم ولكنها قبلت كمقدمة لفرض ثابت في نفوسهم يريدون الوصول اليه . وذلك شأن الكتاب الدينيين وشأن بعض علماء القانون الجنائي الاقدمين

وشأن فلاسفة المنطق المجرد . ولكن التعمق في البحث والتحليل واتخاذ الوقائع والحوادث الاجتماعية ومظاهر الوجود الفردي مواضع للملاحظة والاستنتاج تبين لنا ما تحويه هذه الافكار من نقص او خطإ وتدلنا دلالة واضحة ان المسؤولية اثر ونتيجة للقوانين الطبيعية التي تحكم حياة الجماعات وتصرّف حياة الافراد فلا وجود لها في الحياة بذاتها . وانما هي فكرة مجردة معلق قيامها على تفاعل هذه القوانين واحداً بعد الآخر طبق النظام الذي سبق بيانهُ

والذي يوضح ما سبق ويؤيدهُ ما نلاحظهُ في العالم الحيواني . فان الحيوانات الانفرادية كالذئاب الضارية والاسود لا يدخل في طبيعة تركيبها شيءٌ من معنى المسؤولية امام الموجودات الاخرى . وادنى ما عندها الفتك بكل ما يقترب منها ولو كان من بني جنسها . اما الحيوانات الاليفة والحيوانات التي تعيش اسراباً فان فطرتها الاجتماعية تدخل الى نفسها شيئاً اشبه ما يكون بالمسؤولية . وذلك ظاهر كل الظهور في بعض الدويبات الصغرى اذ يشعر كل واحد من افرادها كأن لهُ حقوقاً على الاخرين وعليهِ واجبات نحوهم . فهناك في خلايا النحل يلاحظ الناظر شبه مملكة يقوم كل فرد من الافراد فيها بعمل خاص يقتضيهِ نظام حياة الجماعة فكما ان وظيفة ملكة النحل[1] التناسل ووظيفة ذكر النحل تلقيحها فوظيفة النحل العامل استجلاب الشمع والعسل لبناء الخلية ولغذائها . وفي كل خلية ملكة واحدة يقوم بتلقيحها ذكر النحل فاذا تم واجبهُ من ذلك تتلتهُ فاذا صادف وجود ملكة اخرى هناك اقتتلتا حتى تقضي واحدة منها على الاخرى ويبقى النحل العامل امام هذه المعركة الناشبة بين الملكتين متفرجاً لا مدخل لهُ فيها بشيءٍ مطلقاً . ذلك لانهُ يشعر بفطرة الحياة فيهِ ان من الواجب لوجود الجمعية التي هو منها قيام ملكة واحدة في المملكة التي هي الخلية . وهو يشعر ايضاً ان الملكة الغالبة هي الاصلح لحياة جمعيتهِ فيجب اذن ترك الملكتين تقتتلان كما تشاءان حتى تموت احداهما . وكل واحدة من النحل العامل تقدم على الاشتراك في المعركة تلقى من غيرها ما لا تحب . وظاهر ان هذا نوع من الاحساس بالمسؤولية قريب الشبه باحساس جماعة البريريين من بني آدم

وما يلاحظ على النحل يلاحظ على النمل . فان طبقاتهِ المختلفة تحس بما عليها من الواجبات وبما لها من الحقوق احساساً مرتبطاً كل الارتباط بحياة الجمعية التي هي منها .

---

(١) وفي ما يسميه العرب الهسرب وقد اخطأوا اذ ظنوها ذكرًا

فالنمل العامل يجدُّ العسيف في اكتناز القوت لنفسهِ وللانثى التي تُعمر القرية . وبعضهُ يقوم بوظيفة تربية ديدان النمل والمحافظة عليها مخافة الخطر . وهو يضحي من اجل ذلك كثيراً من راحتهِ بل قد يضحي حياتهُ حتى لقد شوهد بعض النمل حاملاً ست ديدان وسرعان يطلب قراهُ وذلك رغم انفصام ظهورهِ ولم يشعر بالألم الذي جر عليهِ حملهُ الاَّ بعد ان قام بالواجب الذي تطالبهُ بهِ حياة الجمعية التي هو منها

واذا نحن ارتقينا في السلم الحيواني الى درجة اعلى من النمل والنمل تبين لنا ما نقررهُ بشكل جلي واضح . فبعض الحيوانات التي تعيش مع الانسان كالفيلة مثلاً يكون عندها احساس الالفة لشخص دون آخر ويخيل للانسان حين يراها مع صاحبها كأنها تشعر بانها جزء من مجموع المنزل الذي تقيم فيهِ عليها واجبات ولها حقوق . ولقد بلغ من شعور الناس بذلك حتى قرروا عليها جزاءات توقع حين ارتكابها هفوة من الهفوات كما يوقع الجزاء على مذنب من بني آدم . ومعنى ذلك قطعاً ان هذه الحيوانات تعتبر مكلفة اتباع النواميس التي تكون في النفس العامة اعتقاد ضرورتها للاجتماع

على ان هذا المعنى الذي بيناهُ يتضح ايضاً من اعتبارات الناس لدرجات المسؤولية فان اختلاف الاشخاص في درجات المسؤولية يرجع الى مقدار صلاحيتهم او عدم صلاحيتهم لحياة الجمعية . فالمجرم الذي يُقصى عن الناس طول حياتهِ هو ذلك الشخص الذي ارتكب ما يجعلهُ غير اهل للمعيشة بين الناس من قتل او قطع طريق او سطو او نحو ذلك . واما الاشخاص القليلو الخطر على الجمعية فتوقع عليهم جزاءات توازي مبلغ خطرهم كثرة وقلة . وتقدير هذا الخطر راجع دائماً الى ما يضمهُ الرأي التام من القواعد لحسن نظام الجمعية . وهذه القواعد هي الوحدات الاخلاقية التي وصفناها

ولو انك افترضت شخصاً يعيش عيشة الوحدة منقطعاً في جزيرة يجد فيها ما يمولهُ لما استطعت ان تفترض لهُ شيئاً مما نسميهِ شعور الشعور ولا امكنك ان تتصورهُ شاعراً بأية مسؤولية فان كل ما تكلفهُ اياهُ فطرتهُ انما هو الاحتفاظ بحياتهِ فاذا لم يكن على هذه الحياة خطر ولم يكن في المحيطات بهِ ما يطالبهُ مطالبة خاصة بعمل خاص فانهُ يقضي ايامهُ في سكينة البله ونعيم الغفلة رائماً وسط السعة التي حبتهُ اياها الطبيعة . ولا تحسبهُ حينذاك مفكراً في شيء او حاسباً حساب امر من الامور . ولكن في اليوم الذي يجد لهُ مشاركاً يناقشهُ الحساب ويقول لهُ ذلك لك وهذا لي وكما اعتديت عليَّ يجب ان ادفع العدوان بالعدوان في ذلك

اليوم يبدأ يفكر في طريقة تضمن لهُ طمأنينتهُ الاولى من غير احتياج للنزاع الدائم مع جارهِ وشريكهِ . وهذه الطريقة هي قواعد حفظ الامن والنظام . وهي في اساس حياة الجمعية والاصل الذي تبنى عليهِ في النفس فكرة المسؤولية . فالمسؤولية اثر ونتيجة لحياة الفرد في الاجتماع وليس لها وجود مستقل في نفسهِ

قد يظن البعض من قولنا ان فكرة المسؤولية يستمد اساسها من الضمير الفردي الذي تتكونهُ الوحدات الاءانية الاجتماعية بانضمامها فيهِ ومن مثل الشخص الذي يعيش عيشة الوحدة فلا يكون لهُ ضمير ولا يشعر بالمسؤولية — ان فكرة المسؤولية فكرة صناعية خلقها الاجتماع وليست طبيعية في الفرد من حين خلقهِ . ولكن هذا الاعتراض لا يكون وجيهاً الاَّ عند الذين يحسبون الفرد وجد وجوداً مستقلاً وانهُ اتفق مع امثالهِ على ما سماهُ روسو العقد الاجتماعي فخلقوا الجمعية . وهذه الفكرة الاخيرة فكرة تصورية بحتة تخالف نواميس الطبيعة اشد المخالفة . لان الانسان مدني بطبعهِ وليست الوحدة والانفراد من غرائزهِ مطلقاً . والشخص الذي يستوحش ويخرج عن الجماعات ويعيش منعزلاً منقطعاً لشخصهِ مختل التوازن العقلي قطعاً وهو حيوان نادر الوجود . لذلك فلا يمكن ان يبنى عليهِ حكم مطلقاً . اما الانسان الطبيعي فهو مخلوق اجتماعي فيهِ كل الصفات والقوى اللازمة لتوهلهُ للحياة مع بني جنسهِ . ويظهر هذه الصفات والقوى رويداً رويداً على نسبة اشتباكهِ مع الحياة الاجتماعية واخذهِ منها بنصيب . وعلى ذلك تكون جرثومة المسؤولية وبذرتها موجودة مستكنة في النفس الانسانية من يوم خلقها ومنتظرة احتكاكها بالعوالم الخارجية وبنظام الجمعية لتظهر ويشعر الفرد بها . لكن هذا الاحتكاك بالذات هو الذي يوجه فكرة المسؤولية وجهتها ويرسم لها الطريق الذي تسير فيهِ تحكم صاحبها بعد ذلك على نمط معين . وهذا هو السبب في اختلاف فكرة المسؤولية كمًّا وكيفاً في الشعوب المختلفة والازمان المختلفة . وعلى الاخص فيما يتعلق بتطبيقات هذه الفكرة العملية بل انك تجد في مثل البلاد المتحدثة مدنيتها التي تضرب فيها الفوضى وتجعلك ترى في المدينة الواحدة بل في القرية الواحدة انواعاً شتى من المدنيات المختلفة ميداناً فسيحاً للملاحظة في هذا الباب . فان فكرة المسؤولية تختلف في الافراد انفسهم من جهة كمها وكيفها بشكل غريب . فانت اذا وقفت على باب مسجد من المساجد في احدى مدائن مصر وكلفت نفسك مؤونة محادثة شيخ من اهل الورع الداخلين بيت الله يؤدون لهُ الفريضة وكان هذا الشيخ من اكبر علماء عصرهِ رأيتهُ ينكر اشياء ويقر

أخرى ويحي باللائمة على قوم ويوطب لسانهُ بالثناء على قوم غيرهم وهو في كل ذلك يحكي لك عن عقيدة وايمان . فاذا تركتهُ وتركت المسجد وانحدرت الى حانة نظيف وقابلت بعض المتعلمين من اخوان المدنية الاوربية وحادثتهُ في المواضيع التي حادثت فيها صاحبك الشيخ رأيت بينهما بوناً بعيداً رأيت الثاني يذم ما مدح الاول ويمدح ما ندد به . وليس ذلك الأ ان صورة الجمعية انطبعت في نفس كل منهما بشكل خاص فكونت فيهِ وحدات ايمانية خاصة جعلتهُ الشخص الذي رأيت وكونت في نفسهِ فكرة المسؤولية على النحو الذي رأيتهُ فكأن هذه البذرة الاولى الموجودة في النفس الانسانية بفطرتها المدنية انما يكيف ظهورها ونموها وشكلها العقائد الاجتماعية التي توضع في النفس التي تحوي البذرة في وسطها

بل ان الشكل الذي تأخذهُ فكرة المسؤولية في نفس الفرد يتطور تطوراً عظيماً بانتقال الفرد نفسهِ من وسط الى وسط آخر . وكم رأينا من شيوخ كانوا مثال التقوى انطبعت في نفوسهم وحدات الدين الايمانية انطباعاً فلما انتقلوا الى اوربا والى وسط آخر تختلف عقائدهُ عن عقائدهم تداعت في نفوسهم مبادئهُ ووحدات قديمة وصرت ترى فكرة المسؤولية التي هي مجتمع عقائد كل فرد وعاداتهِ تغيرت تغيراً سمح لهم بمناصرة ما كان في نظرهم من قبل جرماً واثماً

من هذا يظهر واضحاً ان الوسط الاجتماعي هو العنصر الاقوى والمكون الاول لفكرة المسؤولية في النفس الانسانية . وان طبائع الانسان وغرائزهُ الاجتماعية تتشكل بالشكل الذي يريدهُ لها الاجتماع مكرهاً صاحبها على اتخاذ هذا الشكل المعين . وان الجرثومة الاولى الموجودة في نفس الفرد لا تعمل بذاتها بل تعمل متأثرة بذلك الوسط ولولاهُ لاضمحلت ونبت فبقي الانسان اشبه الاشياء بالحيوانات التي تكتفي من كل ما في الحياة بالاحتفاظ بالحياة ودفع ما من شأنهِ ان يلاشيها

محمد حسين هيكل المحامي
دكتور في الحقوق

مصر منذ اربعمائة سنة

(٤)

المقابلة الثالثة

وفي ٢٠ مايو سنة ١٥١٢ ذهب السفير لمقابلة السلطان المرة الثالثة وكانت هذه المقابلة سرية بمكان يدعى الميدان - وكان السلطان قاعدا على دكة مرتفعة ومتردياً بثوب ابيض « ازار » وكل اتباعه ومماليكه لابسون مثله وعلى رأسهُ عمامة كالتي كانت في المقابلة الاولى ذات قرنين بارزين واما السفير فكان متردياً بثوبه المزركش وحواشيه من القصب الذهبي فادناهُ السلطان اليه وبالغ في اكرامه حتى صار على بعد اربع اقدام منهُ . وقد صحبنا في هذه المقابلة قنصلنا الاسكندري كونتاريني المار ذكرهُ ووفد من تجارنا البادقة في الاسكندرية . وكان القنصل متردياً بثوبه الدوقي الرسمي من المخمل القرمزي والاكمام الضيقة وكان السفير يكلم السلطان بصوت عالٍ وترجمانهُ يعيد الكلام باللغة العربية وكان الحديث عامًّا يتعلق بمهمة السفير وتقرير السلام والصلح بين حكومتي مصر والبندقية واعادة العلاقات التجارية . فامر السلطان ان يؤتى من السجن بتروزان قنصلنا في دمشق المخضر وهو مكبل بالحديد[1] وحدث جدال عنيف بين السفير والسلطان بشأن هذا القنصل فالسلطان يثبت عليهِ الخيانة والتجسس لعلاقاته السرية مع عدوهِ والسفير يبرئهُ مدعياً بانهُ لم يقصد الخيانة بل كان يكاتب اسماعيل شاه بنية سليمة واخيراً رأى السفير من مصلحة حكومته الانقياد لرأي السلطان فدنا من القنصل زان ووضع في عنقهِ القيد الحديدي وبذلك هدأ غضب السلطان وارتضى ان يسجن في قصر السفارة الى ان يحقق السفير التهمة عليهِ ويحاكمهُ واستمرت هذه المقابلة نحو ثلاث ساعات والسفير واقف على قدميهِ

(١) ذكرنا فيما سبق ان نائب السلطان في برجمك ترق حلب قبض على رسول قبرصي آتٍ من العجم ومعهُ كتب ورسائل من اسماعيل شاه صاحب الدولة الصفوية باسم هذا القنصل في دمشق وباسم ترمازو كونتاريني قنصلنا في الاسكندرية وارسلها الى السلطان الغوري فاشتد غضبهُ وامر ان يؤتى بالقنصل زان من دمشق الى مصر مكبلاً بالحديد واتهمهُ بالخيانة والتجسس لعلاقاته السرية مع عدو اسماعيل شاه الذي ابتاح بعض المدن في بلاد بين النهرين التابعة للسلطنة المصرية واما كونتاريني فتنصل من التهمة واطلق سبيله

وقبعتهُ في يدهِ . ثم خرج من لدن السلطان مع اتباعهِ والتجار والقناصل وذهب الى قصرهِ (١)

المقابلة الرابعة

وفي اول يوليو ذهب السفير مع اتباعهِ ورجال السفارة والتجار البنادقة لمقابلة السلطان المرة الرابعة . وكانت هذه المقابلة سرية تختص بشؤون سفارتهِ وفي اثنائها سمح بفتح كنائس بيت المقدس لجميع الزوار الافرنج . وفي ٦ منهُ ذهب السفير مع اتباعهِ وصحبهُ كثيرون من التجار الافرنج بين فرنسويين وبنادقة وانكليز للتفرج على أهرام مصر وارسل السلطان بعض الفرسان والمماليك لحراستهِ

---

(١) وهذا ما جاء في رحلة السائح نوره بشان هذه المقابلة الهامة نقلاً عن رسالة كتبها مارك انطونيو تربيزان ابن السفير وارسلها الى حكومة البندقية قال : اشتد الجدال العنيف بين السلطان والسفير بشأن فصل دمشق بغروزان الذي كان محبوساً في القلعة لاكتشاف مراسلات له مع اسماعيل شاه وكان السفير يدافع عن الفصل دفاعاً قوياً مثبتاً سلامة نيتهِ وانهُ لم يقصد الخيانة . وان درتية البندقية تبرأ من هذا القصد . وكان السلطان الغاء هذا الجدال مرتجف غضباً وتهديداً واخيراً نهض في السفير وقال له بحدة « اني اعلم بسلامة نية حكومتك ولكن الخيانة ثابتة على فصلك هذا » . ثم اشار باصبعهِ نحو الفصل وان يقال للسفير وهو منقد غضباً « ان هذا الكلب الخائن كان يراسل عدوي واحمد معه للايقاع بي واجتياح سلطتي » وكان السفير يهدئهُ غضبهُ ويسترضيهِ بلطف وخضوع فاجابهُ السلطان بحدة « اعلم ايها السفير انك اذا كنت حضرت الى بلادي كسفير مخلص من لدن حكومة صديقة مصافية لتقرير الخطبة والصلح والسلام فاهلاً بك واما اذا كنت حضرت قاصداً تخليص هذا الخائن والاتحاد مع اعدائي وحماية الخونة واللصوص فاخرج من بلادي انت وكل تجارك البنادقة » فعند هذا التهديد الصريح اجاب السفير « انك لعالم يا حضرة السلطان المعظم باخلاص حكومتي لشخصك السامي واني لم آت الى مصر ولم اقف بين يديك الا لتقرير الصلح والسلام بينها وبين سلطنتك فها ان روحي وارواح جميع مواطني بين يديك فافعل ما انت فاعل . ولكن ان شئت فسمح لي ان ارى تحقيق التهمة الملقاة على عاتق فصلك تحقيقاً عادلاً دقيقاً فاذا ثبتت عليهِ الخيانة وسوء النية فان حكومتي لا تغفل عن مجازاتهِ ومعاقبتهِ باشد العقاب . لان دولة البندقية العادلة لا ترى الاشتراك في حل مخاصمة سلطانية ولحوق سلطنتكم السامية » فعند هذا الكلام عظم غضب السلطان وقال « اذا كان الامر كذلك فخذ هذا الرجل وحاكمهُ واذا كانت دولتك عادلة صادقة مصافية لي كما قلت فتحكم عليهِ بالاعدام لانهُ جاسوس خائن لبلادهِ وبلادي » . فتقدم جيغلر السفير من الفصل ووضع في عنقهِ القيد الحديدي وانطلقا معهُ الى قصرهِ (انتهى كلام نوره) . وكانت نتيجة هذه المحادثة كما ذكر هذا السائح في رحلتهِ ان السفير تولى تحقيق التهمة فظهر لهُ ان الفصل وان لم يقصد بعلاقاتهِ مع اسماعيل شاه ومراسلاتهِ لهُ سوى اتحاد حكومة البندقية مع حكومة الفرس ضد سلطان الاتراك . فلما عرف السلطان قناعة السفير عفا عن بغروزان وانعم عليهِ بخلعة وسمح لهُ ان يرجع فتصلاً لحكومتهِ في دمشق

سفير فارس في مصر

ولما تقرر الصلح بين السلطان قانصوه الغوري وبين عدوه اسماعيل شاه الصفوي ارسل هذا الى مصر سفيراً لمقابلة السلطان. وقد ذهبت مع بعض رجال السفارة الى القلعة لاتفرج على هذا السفير الفارسي فكان متردياً بثوب على الزي العجمي منسوج كلهُ بالذهب وحواشيه مطرزة بالقصب ومرصعة بالحجارة الكريمة وعلى رأسهِ قبعة عليها ريشة ثمينة طولها نصف ذراع منضدة باللؤلؤ ومثبتة بجوهرة كبيرة من الماس. وصحبهُ في مهمتهِ هذه مائة وخمسون فارساً من جنود الدولة الصفوية وكلهم بالابسة الفاخرة المنسوجة بالذهب والاسلحة الثمينة وكان دخولهم الى مصر بموكب حافل عظيم واحضر السفير الى السلطان هدايا ثمينة فاخرة في ستة وثلاثين صندوقاً بين الثياب حريرية وذهبية وتجارة كريمة وجواهر نادرة وجلود الفرو الثمين والاسلحة العجمية والسيوف المرصعة والصناجيق الفاخرة

سفير جورجيا في مصر

وفي اليوم نفسهِ وصل الى مصر سفير من ملك جورجيا وهي مملكة مسيحية في جبال القوقاس وكان هذا السفير متردياً بثوب مزركش بالقصب وعلى رأسهِ قبعة من فرو السمور ومعهُ ثلاثون فارساً من بلادهِ واحضر للسلطان هدايا كثيرة ثمينة من الفرو والسجاد الفاخر. والجورجيين كنيسة في القدس وهيكل في كنيسة القيامة اقفلت بامر السلطان منذ بضع سنين فحضر هذا السفير يرجوهُ باسم ملكهِ ان يأمر بفتح الكنيسة واسترداد هيكل القبر المقدس. فاستقبل السلطان هذين السفيرين معاً وهو جالس في مقعدهِ ولم يقف لهما

زيارة شجرة العذراء

وفي ٢٧ منهُ ذهب السفير لزيارة شجرة العذراء في المطرية واقام هناك رئيس رهبان القبر المقدس قداساً حافلاً حضرهُ رجال السفارة وكل التجار الافرنج ورأينا ينبوع العذراء والبيت الذي التجأت اليهِ مع ابنها وهناك بستان كبير من شجر البلسم والسلاطين يستخرجون منهُ عطراً زكياً ثميناً ويرسلونهُ هدايا الى ملوك والسلاطين [1]

وعند الينبوع المذكور شجر العذراء وهي من نوع يقال لهُ الجميز غير معروف عندنا ويقال لهُ ايضاً « تين فرعون »

---

(١) اغرضت هذه الشجرة من مصر منذ ثلاثمائة سنة وسنتكلم عليها تفصيلاً عند وصف النباتات المصرية وسنرسم صورة شجرة منها نقلاً عن كتاب رحلة مانيت قنصل جنرال فرنسا في مصر على عهد لويس الرابع عشر

المقابلة الخامسة

وفي ٣٠ منهُ ذهب السفير لمقابلة السلطان المرة الخامسة وكان هذا في قاعة داخلية من قسم المسكن السلطاني الخصوصي وهي مزخرفة بالنقوش والرسوم البديعة على جدرانها وسقوفها ومموهة بالذهب فادخلنا الترجمان ورأينا السلطان في صدر القاعة جالساً على مقعد مرتفع ومستنداً الى حافة نافذة مطلة على فسقية كبيرة يتدفق الماء منها بشكل بديع ويسقط رشاشهُ على قصاري من الرياحين والازهار حولها ومياه هذه البركة من النيل يجري بالبة فوق قناطر عالية من الخليج الى القلعة . وكان السلطان جالساً على دكة مقاعدها وساندها من الدمقس القرمزي وبجانبهِ سيفهُ وترسهُ . ورأينا في احدى زوايا القاعة ثلاثة هوادج بديعة الصنع ملبسة بالمخمل ومطرزة بالنقوش والشريط الذهبي المرصع بالحجارة الكريمة وهي معدة لركوبهِ وركوب حرمهِ في الاسفار

وكانت هذه المقابلة في غاية الود والاخلاص والصفاء واستمرت نحو ساعة ثم استأذن السفير ورجع الى قصرهِ بعد ان تفرج على القاعة ومتاحفها ومعامل الاسلحة فيها . وصحبهُ في هذه الزيارة نائب القلعة

وفي ٩ يوليو ذهبت مع بعض اصدقائي لزيارة دير القديسة كاترينا وهو للارومانيين وليهِ مطران يتولى شؤون املاك دير طور سينا

المقابلة السادسة

وفي ٢٥ منهُ ذهب السفير لمقابلة السلطان المرة السادسة وكانت هذه المقابلة ودية سرية فجلس بجانب السلطان وعند خلائها قبل يدهُ وخرج

المقابلة الاخيرة

وفي اليوم التالي كانت المقابلة السابعة الاخيرة الوداعية فودع السفير السلطان واستأذن في السفر وصحبهُ في هذه المقابلة رجال السفارة وقنصلانا الدمشقي والاسكندري زائد وكونتاريني فلبسوا كلهم ثيابهم الرسمية الدوقية وهي من الديباج المقصب الحواشي اكمامها ضيقة وعلى صدر السفير وسام القديس مرقص الذهبي السامي وكانت هذه المقابلة في قاعة الميدان الكبرى . فشكر السفير تعطفات السلطان لما لاقاهُ مدة اقامتهِ بمصر من الاكرام وحسن الضيافة واستأذنهُ في السفر والرجوع الى بلادهِ لانتهاء مهمتهِ . وفي اثناء ذلك تقدم المهمندار من السفير ونزع وشاحهُ الخارجي الملتف بهِ وهو مطرف واسع بلا اكمام يلبس فوق الثوب والبسهُ جبة من الديباج القرمزي على الزي العربي مبطنة بفرو السمور

الثمين على باقتها واكمامها وهي خلعة السلطان دلالةً على المبالغة في الاكرام كما انهُ خلع ايضاً على كونتاريني القنصل وعلى السنيور الشريف ماركو انطونيو ابن السفير جبة من الفرو الترمزي الأ انها اقل قيمة من خلعة السفير والبستي ايضاً خلعة من الحرير الاسود وكذلك ترجمان السفارة . فشكر السفير السلطان على هذه الخلع السنية وخرجنا من عنده بعد ان قبلنا كلنا يديهِ ولثمنا الارض احتراماً لهُ . واستقبلنا في الخارج حرس السلطان وحاليكهُ بالموسيق السلطانية اي الطبول والزمور وسرنا في شوارع مصر بهذا الموكب الحافل ونحن لابسون الخلع السلطانية الى ان وصلنا الى منزلنا وهناك استقبلنا كل التجار البنادقة والنزلاء الافرنج وهنأوا السفير بنجاح مأموريتهِ

حفلة قطع الخليج

وفي اليوم عينهِ دعينا لحفلة قطع الخليج حيث كان مهرجان عظيم حضرهُ نائب السلطان وكل امراء وعظماء السلطنة واقيمت الملاعيب والزينات البديعة [1]

السفر من ميناء بولاق

وفي اليوم الثاني من شهر اغسطس ذهب السفير مع الباشا الى ميناء بولاق وقد أمر السلطان ان تجهز لنا المراكب السلطانية لنقلنا الى دمياط وارسل ترجمانهُ الخصوصي لمرافقتنا . فاقلعنا بعون الله وتوفيقهِ وعزنا في النيل العظيم

الوصول الى دمياط

وبعد يوم وليلة وصلنا الى مدينة دمياط عند شروق الشمس وكان في مرفاها كثير من المراكب التجارية لكل طوائف الافرنج . وكان الاسطول البندقي راسياً في البوغاز . فنقلنا امتعتنا وصناديقنا الى مركب السفارة وتهيأنا للسفر الاّ ان حاكم دمياط اعترضنا ومنعنا من الخروج من دمياط لان بعض مراكب قرصان مار يوحنا في رودس ظهرت في عرض البحر بعض المراكب التجارية المصرية والحاكم طلب من السفير ان يرسل بعض مراكب من اسطولهِ لاستخلاصها من هؤلاء القرصان . فابى السفير وقال انهُ لا سلطة لهُ على مطاردة مراكب حكومة رودس وان دوقية البندقية غير مسئولة عنها واخيراً بعد جدال عنيف بين الحاكم والسفير تداخل ترجمان السلطان في المسئلة فاجيز لنا السفر

---

(١) عند ذكر الحفلات المصرية سنقل صورة مهرجان قطع الخليج كما رسمها بيدرو الناغ توردن السفاركي الرحالة والمصور الذي انفرد من قبل ملك اسبانيا لزيارة مصر سنة ١٧٢٧ م

السفر من دمياط

وفي اليوم السابع من اغسطس ركبنا من البوغاز واقلع بنا المركب في ريح موافقة معتدلة وخرجنا من بوغاز دمياط وجزنا في طريقنا جزر قبرس ورودس والارخبيل الروماني وكريت (وهنا ذكر صاحب السياحة كل البلاد والجزر التي اجتازها السفير فلا حاجة الى اعادة ذكرها) والتقينا في طريقنا بالقرب من كريت بمركب صغير لقرصان الاتراك . الاّ ان اسطولنا توارى عنهُ وتخلصنا من شرهِ بعون الله

العود الى البندقية

ثم دخلنا في البحر الادرياتيكي وفي اليوم الثالث والعشرين من شهر اغسطس وصلنا مدينة البندقية المحروسة من الله وكان لنا استقبال حافل من الشعب ورؤساء الدولة وحكامها . انتهى

وقد وصف باغاني صاحب هذه الرحلة مصر واهلها وشوارعها ونساءها وتجارتها وما لاقاهُ فيها من الغرائب والنوادر وسنأتي على ذلك عند الكلام على المدن المصرية

الوزير اسماعيل باشا

يظهر ممَّا تقدم ان مصر كانت في سعة في عهد الغوري آخر سلاطينها وان الاموال كانت تأتيها ثمناً للتاجر التي كانت تصدر منها الى بلدان اوربا اما من حاصلاتها او من الواردات اليها من الهند والسودان وقد بقي لها شيءٌ من السعة بعد ما استولى الاتراك عليها . فقد عثرت على فصل في كتاب قديم لدي ماليت قنصل فرنسا على عهد لويس الرابع عشر سنة ١٦٨٥ يدل على ما كان عليهِ الباشاوات حكام مصر من الابهة والغنى والاسراف وسعة العيش فقد اقام دي ماليت قنصلاً جنرالاً في مصر نحو ست عشرة سنة درس فيها اخلاق المصريين وعوائدهم وكان على جانب عظيم من الدعة واللطف ودماثة الاخلاق يحبهُ الاهالي عامة . وكان كل من ولي مصر من الحكام يحبهُ ويجلهُ ويصادقهُ واختلط بعلماء مصر ووزرائها واعيانها وبطاركتها فكانوا يزورونهُ وكثيراً ما كانت دار القنصلية بحي الافرنج مجتمعاً لهم . وكتب رحلة مطولة عن مصر ومدنها واهلها وعن نباتاتها وحيواناتها ومعادنها وتجارتها والنوادر الغريبة التي حدثت في عهده بين الافرنج والحكام والاهالي وكتب تقريراً سرياً عن بلاد الحبشة بعد ان صادق نائب السلطان في سواكن وكانت هذه المدينة محطة المواصلات بين مصر والحبشة كما سيأتي بيان ذلك في باب المدن المصرية

وكان الوزير اسماعيل باشا حاكم مصر ونائب السلطان على عهده فاقام مهرجاناً عظيماً

صورة دي مالبت

قتل فرنسوا الجنرال في مصر في عهد لويس الرابع عشر سنة ١٦٨٥ . وعلى رأسه الشعر العاربة الذي كانوا يلبسونه في زمانه وعلى احد ساعديه زرد كزرد الدرع

مقتطف مايو ١٩١٢
امام الصفحة ٤٧٨

لخلفائه ابنهِ ابرهيم بك دعا اليهِ امراء مصر وحكام مديرياتها ورؤساء اجنادها وعلماءها وبطاركتها حتى ان عامة الاهالي اشتركوا في افراح هذا المهرجان . وهذا ما كتبهُ القنصل المذكور عن اسماعيل باشا ومهرجانهِ قال :

« كان اسماعيل باشا الوزير من رجال الدولة العظام واحد قواد الجنود التي ارسلها سلطان الاتراك لمحاربة النمسا فلما استولى المجريون والبافاريون على بودابست واستخلصوها من الترك أخذ هذا القائد اسيراً مع ابنهِ البكر ثم تخلص من الاسر ورجع الى القسطنطينية وتقلب في مناصب الدولة . ولما تولى السلطان احمد الثالث كرسي المملكة عزلهُ فدخل في وجاقات الانكشارية او بالحري تحت حمايتهم فقربهُ السلطان اليهِ وارسلهُ حاكماً على جزيرة سافز ثم ولاهُ ايالة صيدا والشام وفي صيدا مات ابنهُ البكر فتم حزناً عليهِ وبنى لهُ فيها مدفناً عظيماً . ثم ارسلهُ السلطان الى مصر نائباً عنهُ وحاكماً مفوض السلطة

« ولباشاوات مصر موارد كثيرة وتحت تصرفهم ثروة البلاد كلها وايرادات بيت المال ورسوم الكمارك وتحويل ملكية الاطيان والاراضي من اسم لآخر اذا توفي صاحبها بلا وارث او قبل اربعين يوماً من استلامها ولو كان ذا عقب فترجع الى بيت المال لان كل الاراضي المصرية معدودة من املاك السلطان ولذلك كان اسماعيل باشا متصرفاً في الايرادات المصرية بصفتهِ نائباً عن السلطان . وكان كريماً كثير الاسراف والبذخ حتى انهُ لما عزل حوسب على المال الذي استولى عليهِ في مدة ولايتهِ فوجد مديوناً بنحو ثمانمائة الف دوقة ذهب . ولما كان مقرباً من رجال الدولة في اسطنبول لم يؤخذ بالشدة والتضييق بل ولي ولاية اخرى من ولايات السلطنة بعد ان وعد ان يجمع منها الاموال باية طريقة كانت ويوفي الديون التي عليهِ للخزينة السلطانية . ولما عزل ارسلت السلطنة عوضاً عنهُ رامي باشا الصدر الاعظم الشهير حاكماً على مصر . وكان القنصل ماليت صديقاً ودوداً لاسماعيل باشا وكثيراً ما كان هذا يستشيرهُ في امورهِ الخصوصية وشؤون الولاية . وكانت ايرادات السلطنة وتشتمل من الولاية المصرية الف ومائتي كيس[1] عدا الاموال والحاصلات والحبوب التي كانت مفروضة على باشاوات مصر لدار السلطنة والحرمين (مكة والمدينة) ستأتي البقية ديتري تفولا

(١) تعادل قيمتها الآن نحو مليوني فرنك . وقال عنوت في رحلتهِ سنة ١٦٥٠ ان ايرادات السلطنة من الباشاوية المصرية تبلغ قيمتها خمس خزنات . والخزنة ١٢٥ كيساً ترسل منها خزنتان لدار السلطنة خراج الولاية وخزنة الى مكة وخزنة لنفقات الباشا والخزنة الخامسة مرتبات الجنود والموظفين

اميركا والحرب

اشرنا في مقالة اخرى في اوائل هذا الجزء الى ان دخول الولايات المتحدة الاميركية في هذه الحرب من اعظم الحوادث التي حدثت في هذا العصر . ولقد بيّن الدكتور ولسن رئيس الولايات المتحدة الاسباب التي اوجبت عليهِ اعلان الحرب على المانيا في خطبة من انفس الخطب التي اطلعنا عليها فاقتطفنا منها ما يلي لانهُ من القواعد التي يجب حفظها في بطون التاريخ قال « اننا لا نخاصم الشعب الالماني بل نشعر بالعطف عليهِ والصداقة لهُ فان حكومتهُ لما خاضت غمار هذه الحرب لم تكن مدفوعة اليها بدافع منهُ ولا كان ذلك برضاهُ بل اثارت حربًا كحروب العصور الغابرة حينما كان الملوك يثيرون الحرب من غير ان يستشيروا رعاياهم ويخوضون غمارها لاجل مصلحتهم ومصلحة بيوتهم او مصلحة فئات صغيرة من ذوي المطامع الذين اعتادوا ان يستخدموا اخوانهم في البشرية آلات لادراك مقاصدهم وتنفيذ اغراضهم »

ثم قال ساخرًا « ان الشعوب المتمتعة بالحكم الذاتي لا تملأ البلدان المجاورة لها بالجواسيس ولا تدسُّ الدسائس في بلدان الغير لاحداث فتن يكون لها منها وسيلة للغزو والفتح . لان الدسائس والمؤامرات لا تفعل الأمتى تيسَّر كتمانها وراء ستار البلاط الملكي او الامبراطوري او وراء سجف من الاتفاق بين بعض الافراد اصحاب الامتيازات والمناصب . ولقد ثبت في مجالس القضاء ان الموظفين الالمان دسوا دسائس كادت تكدر صفاء السلم في الولايات المتحدة وتوقف دولاب الاعمال . وفي المذكرة التي ارسلتها المانيا الى معتمدها في المكسيك شاهد ناطق على دسائسها الشريرة . ولقد لبثنا دعوتها الى الحرب عالمين ان حكومة كحكومتها لا يمكن ان تكون صديقة بل هي خطر على جميع الشعوب الدمقراطية . ورضينا ان نقاتل هذا العدو المفطور على العداوة وسنبذل كل قوانا اذا اقتضت الحال لكبح جماحهِ وليس لنا من وراء ذلك مصلحة ذاتية ولا رغبة في الفتح او تقاضي الغرامات الحربية ولكننا سنبذل مالنا ودمنا عن طيبة خاطر دفاعًا عن حقوق الانسانية » الى ان قال « ان الضرورة فرضت عليَّ ان اخاطب مجلس الامة بما خاطبتهُ بهِ ولكن هذا الواجب ثقيل على طبعي ومضايق لي . وان من الامور المخيفة قيادة هذا الشعب العظيم المسالم الى اعظم حروب الدنيا هولاً . ولكن سعادة الدنيا موضوعة الآن في كفة الميزان والحقُّ افضل من الراحة ونحن نخوضنا غمار الحرب سنجود بارواحنا وأموالنا عن طيبة خاطر وسيكون من بواعث الفخر لنا اننا بذلنا دمنا دفاعًا عن المبادئ التي اوجدت في اميركا الراحة والهناء ولا يسعنا ان نختار سبيلاً غير هذا السبيل »

الدكتور ولسن رئيس الولايات المتحدة

مقتطف مايو ١٩١٧

امام الصفحة ٤٨٠

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناهُ ترحيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتحميداً للاذهان ولكنَّ النهضة في ما يدرج فيهِ على اختلافهِ فمن مراسلة كلو . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عنيفاً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستغار على المطوَّلة

حول الاكوات

حضرة منشئي المقتطف الاغر المحترمين

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاتهِ . فقد وقع بيدي في هذه الايام الجزء الثاني من المجلد ٤٨ من مجلتكم الغراء فوقفت فيهِ على مقالة في « اكوات العراق » لوطنينا الاديب محمد الهاشمي البغدادي منشورة في ص ١٦٦ — ١٦٧ . وبما ان الكاتب قد وهم في بعض ما قالهُ ومجلة المقتطف حجة ثبتٍ في ما تنشرهُ احببت التنبيه الى ذلك ايضاحاً للحقيقة وخدمة للتاريخ فاقول :

قال الكاتب ان « كلة كوت مشهورة متعارفة في ... نجد ... وبعض بلاد العجم والهند الساحلية » والصحيح ان كلة كوت لا تستعمل الاَّ في الامكنة الواقعة فيما بين كوت الامارة[1] والناصرية والفاو لا غير . ثم قال : « ... يكون ذلك البيت (يعني الكوت) فرضة للسفن والبواخر وترسو عندهُ لتكمل منهُ ما ينقصها من الفحم والزاد الخ » والصحيح ان الكوت لا يختص بمكان معين بل قد يُبنى الكوت في البرية او على ضفة نهر اوشط . ولا يختص بما وصفهُ الكاتب من اكوات العراق الاَّ كوت الامارة واما غيرهُ فلا

والكوت في العراق يُبنى بجماعة من الفلاحين ليكون لهم مأوًى ومسكناً وقد يُبنى وحدهُ او يُبنى حولهُ بعض الاكواخ من القصب والبواري او الجنوز[2] ويقابل الكوت

(١) الامارة جمع امير وهم روساء عشائر ربيعة وانما نسب اليهم لانهم اول من سكنهُ واسسهُ . وقد يتوهم بعضهم فيضيف الكوت الى العمارة البلدة الواقعة فيما بينا وبين البصرة وهو غلط فاضح فليتنبه لهُ

(٢) جمع جنز وزن فعل وهو البيت المبني بالطين لا غير

« الجباعة » وزن حجارة عند ملاحي اطراف بغداد . وكوت الامارة التي ذكرهُ الكاتب في مقالهِ بُني على هذه الكيفية في بادئ الامر كما سنبينهُ فيما بعد

ثم قال الكاتب : « وقد تطلق الكوت (يعني لفظة الكوت) على النهر الصغير ايضاً ويسمى به الآن بعض القرى في العراق توسعاً » والصحيح خلاف ذلك لان لفظة كوت المطلقة على النهر هي مضاف اليهِ لا مضاف . واظن حضرتهُ نقل اسماء تلك الانهر التي زعم ان اسماءها اكواتاً عن المجلد الثالث من لغة العرب ظاناً ان تلك الاكوات اسماء لانهر مخصوصة . وقد فاتهُ ان المجلة اشارت في الحاشية الى حذف المضاف واثبات المضاف اليهِ هرباً من التكرار المملّ[1]

ومما فات الكاتب ذكرهُ بعض القرى المدعوة اليوم باسم كوت الواقعة في البصرة واطرافها: منها كوت الجلبي[2] في جنوبي البصرة بساعة وبناؤها بالطين والقصب وبيوتها نحو ٢٠ بيتاً . كوت البَزيز (وزن زبير الساكنة الزاي) . كوت ثويني . كوت فويرس (بالتصغير) كوت سرحان . كوت رعيد (وزن جنيد باسكان الجيم) كوت الصبيحة[3] كوت الفريج (تصغير فرج) . كوت الحمداني . كوت القاضي . كوت الحساوية (اي الاحسائية نسبة للاحساء)[4]

ومنها : كوت الزين وهو واقع قبالة المحمرة على شط العرب والزين عند اعراب العراق الحسن الجميل لان سكانهُ اهل حسن وجمال فاضيف الى حسنهم وجمالهم وهم اعراب من طائفة الباوية (وزان شاهية المنسوبة) وهم اخوال الشيخ خزعل خان حاكم المحمرة الحالي . وبناؤهُ (اعني كوت الزين) بالطابق والطين وبعض بيوتهِ جنوز . ثم كوت بندر (لا بندرة كما ذكر الكاتب) وبناؤهُ بالطين وبعض بيوتهِ بالقصب والبواري . وفيهِ مسجد . ثم كوت عباس وبيوتهُ جنوز . وهذه الاكوات الثلاثة ملك آل راشد السعدون جد شيوخ المنتفق لا من الاسرة السعدونية المشهورة اليوم في العراق . ثم كوت ابن سيّاف

(١) راجع مجلد الثالث ص ٦٠ من مجلة لغة العرب البغدادية

(٢) مضاف الى مؤسسهِ عبد القادر جلبي دلاّل باشي احد تجار البصرة وقد مات في اواخر القرن الثالث عشر من الهجرة

(٣) هذه الاكوات جميعها تابعة لقرية جمدان في جنوبي البصرة على بعد ثلاث ساعات وبناء بعضها بالطين والبواري والبعض منها بالقصب والبواري وعدد اكواخ كل منها ما بين العشرة والعشرين كوخاً

(٤) هذه الاكوات تابعة لقرية ابي مغيرة الواقعة على شط العرب في جنوبي البصرة بثلاث ساعات ونصف ساعة . وهي مضافة الى الجهرة ابن ابي العباس الثقفي وقبرهُ هناك

(كشداد) واسعة بندر وكوت مطرود وبناء بيوتهما بالطين والبواري . ثم كوت الحجاج وهو قرية عامرة واقعة في شمالي البصرة على بعد نصف ساعة منها وبناء بيوتهما بالطين والحجارة . ثم كوت سوادي . ثم كوتا السني نسبة الى احد ابناء السنة وبيوتهما اكواخ . ثم كوت ابن بادي وهذا في اطراف سوق الشيوخ من بلاد المنتفق ويتزلهُ عشائر سوق الشيوخ يخرج منهُ نحو الف محارب

اما الانهر التي اضيفت الى اكوات ولم يذكرها الكاتب فهي : نهر كوت الكمرلي ونهر كوت الفداع (كشداد) . ثم ستة انهر واقعة في جنوبي البصرة من شط العرب تعرف ايضاً بنهر الكوت

واعلم ان بناء البيت الذي يطلق عليهِ اسم كوت يكون مربع الاركان وقوامهُ من الطين والخشب والبواري وكذلك قل عن البيوت التي حولهُ ايضاً . وقد يختص بعضها بالقصب والبواري فقط والبعض منها بالطين والحجارة والبواري

ثم قال الكاتب عن كوت الامارة : « انها اسست بعد خراب واسط » لقد صدق ولكنهُ لم يقل بكثير من الزمن ولم يعين الوقت الذي اسست فيهِ وهنا يجدر بنا ان نبسط الكلام في تأسيسها وتاريخهِ وسبب ذلك والساعين فيهِ مع ذكر الامكنة الواقعة فيما بينها وبين الشيخ سعد على ضفتي دجلة وذكر الاعراب النازلين فيها فنقول : —

كوت الامارة بلدة جميلة طيبة المناخ عذبة الماء عذبة الهواء كما وصفها الكاتب فيما سلف . واقعة على الضفة اليسرى من دجلة تجاه الجنوب الغربي نحو الدرجة ٣٠ وطولها يبلغ مسافة ٢٠ دقيقة ولها رصيف يمتد امتدادها في عرض ٣٠ متراً وخلف الرصيف عما يلي البلدة القهوات فالاسواق وسرايها واقعة في الطرف الشمالي الغربي منها . وفيها جامع السنة ذو مأذنة رفيعة واقع في الطرف الشمالي الغربي منها . ومسجد للشيعة حقير البناء واقع في الطرف الشرقي منها . وتحفها من الشمال النخيل والاشجار والنسبة اليها كيناوي (وزان همبان المنسوبة) ويقابلها في الجانب الغربي من غربيها بعض البيوت من الطين وحولها معمل سوس . وفي الطرف الشرقي من الجانب الغربي خان كبير مهجور يبعد عن الشط مسافة خمسين دقيقة للماشي وقد كان هذا الخان قبل سنين منزلاً للركب الذين يسلكون الطريق التي تؤدي الى الغراف والشطرة وتلك الجهات . وفي السنين الاخيرة تركه المسافرون الى تلك الاطراف استغناء عنهُ فاصبح خراباً تسكنهُ البوم والوحوش . وفي شرقيهِ بقليل

فوهة نهر الغرّاف الكبير او شط[1] الحي . ثم اسفله بقليل الجادرية وهي ارض واقعة في الجانب الشرقي من دجلة ثم جسر الكوت وهو معقود على ٢٣ جسارية (اي سفينة) ويذهب من الجنوب الى الشمال وعلى بعد مسافة خمس دقائق من جنوبيه في الجانب الغربي قبة امام يدعى « محمد ابو الحسن » معقودة بالجص والطاباق ولها جهو ويزور هذا الامام اهل تلك الاطراف ويتذرون لهُ النذور ثم اسفل الجسر ارض تعرف « بقاطعة ابو حلاّنة » وهي في الجانب الغربي ثم اسفل ابي حلانة القارضية (ويلفظون قافها كافاً فارسية) وهي في الجانب الشرقي ثم اسفلها المدحي (منسوب الى مدحت باشا الشهير) وهو

---

(١) الغرّاف (وزن شداد) او شط الحي نهر كبير عرض فوهته نحو ٦٠ متراً وقد اشتق اسمه من الترف وشدد للمبالغة كتولهم كرار وجبار وغدار وما اشبه . واما تسميته بشط الحي فهو مضاف الى قرية تدعى الحي اقيمت على انقاض مدينة واسط التي بناها الحجاج بن يوسف الثقفي وهي تبعد عنهُ شرقاً مسافة نصف ساعة وواقعة على جانبهِ الشرقي

والنهر قديم المجرى لا يعرف تاريخ شقهِ على التحقيق وهو يأخذ من دجلة ويصب الآن في الفرات وقسم منهُ يصب في بطيحة الحمار (وزن شداد)

وقد كان مجراهُ القديم يذهب الى الجنوب الشرقي مجاريًا دجلة في مجراها حتى يصب فيها على مقربة من العمارة وكان اذ ذاك يدعى شط « المسرهد » (وزن مدحرج نقل ما قبل الآخر) وهو الاسم الكثير الورود في سجلات المحكومة المعروفة « بالدفتر الخاقاني » ثم بعد ذلك بدل اسمهُ « بالنصيب » (وزن كرسي المكسورة الاول) وقد قرنت عشائر الديوانية الى هذا الاسم اسماً آخر وهو « الحمر » (وهو تخفيف الاحمر) وسموهُ كذلك لحمرة غرينهِ ما لا

وقد كانت النفس تجري في هذه التسمية الى امد غير بعيد . وفي اواخر القرن الثالث عشر الهجري عَلِم الغرينُ عقبهُ وعاد الماء لا يصعدهُ بعدًا فتحول مجراهُ منحرفاً الى الجنوب قليلاً في محل يبعد عن الحي مسافة كيلومترين ونصف جنوباً وصارت مياههُ تصب في الفرات بقرب الناصرية . ولما يبس مجراهُ الاصلي وتحولت مياههُ الى الرمال دعاهُ اهل تلك الاطراف شط الاعمى

وفي اثناء ذلك شق احد امراء السعدون نهرًا تحلو فوهتهُ شطرة المتنق مسافة نصف ساعة غربًا . ويدعى ذلك النهر الحديث الحفر (البدعة) والبدعة عند العراقيين النهر الواسع العزيز المياه والذي لا يسعهُ الا الشط . ثم اتسعت هذه البدعة مع الزمان حتى صارت تبلع ثلاثة ارباع مياههِ وتصب بقية مياهها في بطيحة الحمار السالفة الذكر في الجنوب الشرقي من الناصرية . وقبل مصب البدعة في بطيحة الحمار يدعى مجراها بشط الازيرق (تصغير ازرق) وتتفرع الازيرج وذلك على بعد ٤٠ كيلومترًا من الناصرية غربًا . والازيرج عشيرة من عشائر المنتفق وهي اسمها

ثم يتفرع من جانب البدعة الشرقي فرعان الاول يدعى (شط سويج عودى او الطيرية) وسويج تصغير سوق وتلفظ سويج . والفرع الثاني يدعى (ابو جموراث) جمع جمر ويأتي عشيرة آل نصر الله من المنتفق ويأتي ما بينهُ (أعني شط سويج وابو جموراث) بدر الزميض وعشيرتهُ . وهم من المنتفق

دورة [1] من دورات الشط . ثم اسفله قبيب السيد [2] وهي قبة مبنية باللبن والطين على قبر شريف من آل السيد نور رؤساء تلك الاطراف والقبة واقعة في الجانب الشرقي من دجلة تبعد عن الجرف مسافة خمس دقائق وينزل مقابلاً لها في الجانب الغربي من دجلة اعراب المقاصيص . ثم بقربه موضع يعرف بالمدق [3] (وزن مجن ويلفظون قافهُ كافاً فارسية) وهو موضع يكمن فيهِ قراصين المقاصيص للمراكب السائرة في دجلة ليلاً وينهجمون عليها فجأة وينهبون منها ما يقع بايديهم ويرجعون بالسرع من لمح البصر . وقد صادف ان جرى مرة في المركب الذي كنت راكباً فيهِ امثال ذلك فاختطف صندوق لاحد الركاب . ثم اسفل المدق قامة عزيز المشعل وهو من رؤساء المقاصيص في الجانب الغربي . ثم نبعة وهي ارض واقعة في الجانب الشرقي والنبعة عند العراقيين الشجرة الحديثة النبت الزاهية الاوراق ويدعى الطرف الشرقي من تلك الارض (ابو نخيل) وانما دعي بهذا الاسم لنخلات مغروسة هناك يزعم اهل تلك الاطراف أن تحتها مرقد امام فهي تزار من اجلهِ . ثم السن الصغير وهو رابية مستطيلة واقعة في الجانب الغربي . ثم الدهلاية [4] وهي ارض في الجانب الشرقي ثم السن [5] الكبير وهو اثر عظيم بشكل تل مستطيل من اللبن وفي بعض الاماكن الحجارة والبورق واقع في الجانب الغربي وفي مخناهُ دورة تعرف بالهوي (بالتصغير) وقد كان السن قبل الحرب منازل المقاصيص ثم قلعة عيسى الشريدل مضافة الى رجل من شيوخ المقاصيص وهي قلعة مربعة الاركان ذات ابراج واقعة في الجانب الغربي . ثم غثيرات وهي اسم دورة من الشط وارض واقعة في الجانب الغربي ينزلها اعراب من بني تميم . ثم ابو نخيل وقد مرّ ذكرهُ . ثم صدر الدجيلة وهو اثر نهر عظيم قديم مهجور واقع في الجانب الغربي . ثم الصناعية او الصناعيات وهي ارض واقعة في الجانبين ينزل في الجانب الغربي منها اعراب من بني تميم شيخهم اسمهُ عوده . ثم الكحيلة (ويلفظون كافها جيماً فارسية) وهي ارض واقعة في

---

(١) الدورة عند العراقيين الخفي من الشط ويجمعونها على دورات (وزن عورات بالسكون)

(٢) القبيب بالكاف اوله هو عندهم تصغير قبة ويلفظون قافهُ كافاً فارسية

(٣) المدق عند العراقيين الموضع الذي يكمن فيهِ قطاع الطرق لنهب القوافل فهو مكمن لهم

(٤) الدهلاية او الدعلة بكسر الدال المهملة عند العراقيين هي الغربال في اللغة الفصحى ولا تخفى سبب تسميتها بهذا الاسم

(٥) السن عند العراقيين هو انبطاح من الطابق والكلس والذي يكون على حافة نهر او شط او في وسطها

الجانب الغربي ينزلها اعراب من المقاصيص بيوتهم من الشعر رئيسهم يدعى السيد عباس. ثم رأس ام الحنه (وزن سنة) ينزل في الجانب الشرقي منها اعراب بني تميم بيوتهم اكواخ من القصب والبواري واليردي وبعضها جنوز ويقابلهم في الجانب الغربي السيد عبد الكريم وعربهُ . ثم الشيب وهو اسم « دورة » ثم الشط العتيق وهو واقع في الجانب الشرقي وقد كان قبل اربعين سنة حيًّا تسلكهُ السفن والمراكب السائرة بين البصرة وبغداد ومع الزمان مات بتحول مجراهُ الاصلي عن محلهِ . ثم ابو رمانة وهو اسم « دورة » وارض واقعة في الجانب الغربي . ثم المفاتيل[1] وهي ابراج واقعة في الجانب الشرقي لاعراب المقاصيص ثم العوجة وهي ارض واقعة في الجانب الغربي ثم الكبايات (وزان شدادات و يلفظون كافها جيماً فارسية) وهي ارض واقعة في الجانب الشرقي ثم ام العروق وهي اسم دورة وارض يكثر فيها عرق السوس فكنوها بهِ واقعة في الجانب الشرقي ينزلها اعراب بيوتهم في القصيب والبواري اكواخهم نحو ١٠٠ كوخ . ثم السورة (وزان عورة باسكان العين) وهي ارض واقعة في الجانب الشرقي . ثم ابو شعير وهو نهر واقع في الجانب الغربي يصب بقية مياههِ في الفرات (او شط الحي) . ثم العورة (باسكان العين) وهي ارض واقعة في الجانب الغربي من دجلة . ثم اليوسفانية وهي نهر واقع في الجانب الشرقي و ينزل ارضهُ اعراب من بني لام اسم رئيسهم جنديل . ثم ابو صيخاية وهو ارض واقعة في الجانب الغربي ينزلها اعراب من بني لام بيوتهم من الشعر ولهم بيوت من الطين مهجورة يعرفون بربع (اي اصحاب) موسى الفريج (تصغير فرج) يبلغ عدد بيوتهم نحو ١٠٠ بيت . ثم النعيسة وهي ارض واقعة في الجانب الشرقي تقابل قرية الشيخ سعد (او سوق جنديل) . ثم شيخ سعد (كذا يلفظونهُ بحذف ال التعريف) وبعضهم يدعوهُ سوق جنديل وجنديل احد رؤساء بني لام وهو اول من بنى فيهِ سوقاً فاضيفت اليهِ ثم توسع هذا الاسم حتى تبعتهُ القرية عند بعضهم

الشيخ سعد قرية واقعة على عدوة دجلة اليمنى تجاه الغرب تماماً تشمل نحو ٤٠٠ بيت من الطين و ٥٠٠ صريفة[2] مبنية في طرفها الجنوبي واكثر اهلها اكراد من جبل حمرين قلي خان

---

(١) هي جمع مفتول واكثرول عند اعراب العراق برج مستدير الاطراف صاعد في السماء وبناؤهُ من الطين فقط . ويصعد اليهِ بدرج دولبية الشكل يتخذهُ الاعراب في مرورهم لرعي قطائعهم سنة والاشراف على العدو فهو عندهم بمنزلة البرج والمرقب معاً . وكان يسمى في الجاهلية (النقيل) (وزن سكيت) راجع لغة العرب المجلد الاول ص ٣٨١ من الحاشية

(٢) الصريفة عند اعراب العراق الكوخ المشيد بالقصب والبواري فقط و يجمعونها على صرايف

او بوشتكوه وهو قسم من جبل حمدين . وقبر الشيخ سعد فيها (اعني القرية) وعليه قبة معقودة بالجص والطابوق وهو من روَّساء عشائر تلك الاطراف وقد مات منذ نصف قرن ولا يحترمهُ اهل تلك الاطراف كل الاحترام كما انهم لا يستخفون بقدره . و ينزل حولهُ اعراب من بني لام روَّساؤهم يدعون (بيت جنديل) ومنازلهم تمتد الى ما قبل علي الغربي بقليل[1]

ولنعد الى ذكر الكوت فنقول : كان سكان الكوت قبل ١٣٠ سنة عشيرة بيت شاوي من ربيعة وهم بطن من الياح (وزان شداد) من طائفة البو بدر من فخذ البو برشي (وزن شرقي) وكانت بيوتهم اذ ذاك جنوزاً وكانت الاعراب التي في اطرافهم تغزوهم وتنهب مواشيهم فكانوا يضطرون في بعض الاحيان الى السكن في بيوت الشعر

وفي سنة ١٢٥٢ هـ = ١٨٣٦ م غزا علي رضا[2] باشا والي بغداد المحمرة فمرَّ في طريقهِ على موضع الكوت اليوم فشكا اليهِ اهلهُ حالهم وما يقاسونهُ من غزاة الاعراب المجاورين لهم فبنى لهم قلعة[3] ورتب فيها من عسكر عقيل ٥٠٠ فارس لاجل المحافظة على ذلك المحل والطرق المؤدية اليهِ من شن الغارات . فبقي اولئك الفرسان حرساً للكوت وجباة للضرائب التي على اهل العمارة والمنتفق وكان يوسئذٍ رئيس اهل الكوت يزون آل شاوي تخصص لهُ الوالي جرايات سنوية يتقاضاها من ابناء الحكومة بواسطة ضابط مندلي وهي ٢٠ طفاراً حنطة و٣٠ طفاراً شعيراً . وسمح لهُ ان يأخذ جوازاً من كل سفينة تمر بالكوت ومقدار ذلك خمسة شاميات[4] وبقيت هذه الحالة جارية حتى ايام مدحت باشا الشهير

---

(١) اما ذكرنا هذه الامكنة الواقعة في ما بين الشيخ سعد وكوت الامارة لكثرة ورودها في الجرائد والمجلات والكتب المحررة خصوصاً في هذه الايام التي اصبحت فيها مجاذبة الاطراف بين الفريقين وكثيرة التردد في صحف القطرين . ولانا نرأ بانا اكثر القراء لا يعلمون فيها غلطاً فاحشاً حتى اهل البصرة انفسهم فما دونها بشيء في هذه الحالة لتكون مرجعاً للصحة . اما ترتيب منازل الاعراب النازلين في ما بين الشيخ سعد وكوت الامارة فعلى هذا النسق . بنو لام يتزلون حول الشيخ سعد ثم فوقهم غرباً اعراب المخاصيص . ثم فوقهم غرباً اعراب من بني تميم فاعراب من المخاصيص فاعراب شنبه فاعراب ربيعة وبعداً منازلهم الكوت وجهاتها البغيلة (تصغير بغلة) الواقعة في غربي الكوت بنحو سبع ساعات على الجانب الغربي من دجلة (٢) علي رضا باشا من خلف الوزير داود باشا على بغداد وقد ولي بغداد من سنة ١٢٤٦ هـ الى سنة ١٢٥٢ هـ = ١٨٣٠ — ١٨٣٦ م (٣) قد صارت هذه القلعة بعد بنائها محلاً لحكومة التركية و بقيت الى ان سقطت بلاد الكوت بيد الانكليز (٤) الشامي نوع من نقود العراق المتروكة وقد كان اذ ذاك يساوي ستة قروش مصرية

وفي سنة ١٢٨٣ هجرية ذهب نامق باشا الكبير والي بغداد الى البصرة وكان بصحبته السيد علي افندي النقيب ببغداد وحينما شاهدا موقع الكوت استحسناهُ ولتوسطهِ بين العمارة وبغداد والمنتفق وقربهِ من حدود ايران مما يلي جبل حسين قلي خان امر نامق باشا المشار اليهِ رئيسي الكوت حين ذاك وهما الحاج سبع وابن عمهِ علي اليوسف بانشاء ناحية هناك فامتثلا امرهُ واعطاهما ٢٥ الف قرش صحيح مساعدة لهما وارسل لذلك معماراً خصيصاً من بغداد فبنى لهما ولاقاربهما دوراً ومنذ ذاك الحين اخذت بلدة الكوت بالترقي والعمران والتوسع الى ان استردها الاتراك من الانكليز في يوم السبت ٢٩ نيسان سنة ١٩١٦ م وعندما استولى الاتراك عليها وعلى الجنود الانكليزية التي حوصرت فيها أمسكوا الحاج عباس العلي السبع زعيم اهل الكوت واولادهُ وابناء عمهِ وبقية اشرافها وشنقوهم واحداً بعد واحد زاعمين ان هؤلاء الاعيان هم الذين ساعدوا الانكليز على سقوط الكوت بايديهم في المرة الاولى . وكان شنقهم في اليوم الثاني من سقوط الكوت بيد الاتراك . وقد بلغ ما شنقوهُ في ذلك اليوم نحو ٣٥ رئيساً ثم بعد شنقهم ساق رجال الاتراك نساءهم وذراريهم الى بغداد ومنها الى الموصل وديار بكر

وفي الحقيقة ان هؤلاء المظلومين ليس لهم ذنب ولا مصلحة مع الانكليز . ومما يؤسف عليهِ منهم الحاج عباس العلي السالف الذكر فقد كان من افاضل القوم وشيوخهم كرماً ومعرفة وحنكة وحزماً وتدبيراً . وقد كان رحمهُ الله بحاثة نسابة اخبارياً . اعرف الناس باحوال العراق وتاريخهِ واخبار قبائلهِ وبلادهِ والخلاصة ان العراق قد خسر بقتلهِ خسارة عظيمة

اما بلدة الكوت اليوم فعلى ما رواهُ الشاردون منها في هذه الايام ان المدفع من الطرفين هدمت اغلب بيوتها وحولتها الى تل من تراب وشوه الجنود ارضها بحفر الخنادق للقتال . وقد تركها اهلها المساكين فارين منها باعمارهم الى البوادي والقفار . وعاد لسان حالها يقول :

بالامس كانوا معي واليوم قد رحلوا وخلفوا في صريدا القلب نيرانا
نذر عليَّ لئن عادوا وان رجعوا لازرعن طريق الحي ريحانا

هذا ما اردت بيانهِ عن اكوات العراق وكوت الامارة وفوق كل ذي علم عليم

البصرة كاظم الدجيلي

[المقتطف] كتبت هذه المقالة قبل سقوط كوت الامارة ثانية في ايدي الانكليز

خلود في التجارب

وكم ساعة كالخلد فزت بخيرها ... هو الروح حر لا يذل لتحكيم
بانت بها انفسي مني النفس كلها ... كأن قضاء الدهر ليس بمحتوم
تفوس تودُّ العيش نزعة لاعب ... فحسب ان العيش اضغاث محموم
ترجي سنيُّ العمر كالنحل ضمَّنًا ... لعيش كأرْي النحل ليس بموموم
ترجي خلوداً والخلود عناؤها ... واي بقاء خالدٍ غير مسؤوم
وما الخلد الاَّ ساعة تُقنع الحجى ... وتسعد نفساً لا تدين لتهويم
وقالوا بان العيش فرضٌ مبغَّضٌ ... وذلك حرص منهمُ غير مكتوم
وعذر على حب الحياة ولهفة ... واي امرئ في العيش ليس بمكلوم
يعيش تقيُّ الناس من خير عيشهِ ... وان كان يسعى في الورى جدُّ مهموم
يظل فتى في نفسهِ ذخر ذاخر ... وان كان محروماً كأنَّ غير محروم
فما العيش الاَّ حكمةٌ وتهادُنٌ ... فيخلط مجهولاً لديهِ بمعلوم
ويخلط حلواً في الحياة بحنظل ... ويأخذ من عيش حميد ومذموم
وقد صح ان الجد يلهي عن الاسى ... وان كان سعياً لا يجيءُ بمغنوم
وكم نهزة بالحزم لم حُسْنُ خمرها ... حسوتُ بنفس تستفاد بتكريم
هو الروح مش الحرِّ في كل لذة ... وليس نعيمٌ نال روحٌ بمحلوم
وطالعتُ في سفر الحياة كأنني ... ظفرت بسفر في التجارب مرقوم
فما خير هاتيك التجارب هذيها ... وليس اخو التجريب فينا بمعصوم
ولكنها لذات نفس تمرست ... بوقع سريٍّ او مواقع منقوم
فمنها مصيف للنفوس ومربع ... ومنها كمام المحل ليس بمرهوم

عبد الرحمن شكري

اصلاح خطأ

جناب المحترم صاحب مجلة المقتطف الغراء

ذكرتم في عدد مارس سنة ١٩١٧ من مجلتكم اني هندي الجنسية والحقيقة اني مصري الاصل كما تدل على ذلك شهادة جنسيتي المستصدرة من الدفترخانة المصرية فالرجاء التفضل بنشر كتابي هذا تصحيحاً لما ذكرتم

دوس محمد

باب تدبير المنزل

قد افضا هذا الباب لكي تدرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام والشراب والملبس والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

السمن

مضاره وطرق علاجه

لا يستطيع سمان الابدان ان يحافظوا على صحتهم طويلاً لان شدة السمن تجعل الرياضة متعذرة فتقضي هذه الحال بالسمين الى ارتخاء عضلاته وضعف تغذيتها . ثم ان تجمع الدهن في الصدر والبطن قد يعوق حركة الاحشاء فيهما الى درجة الخطر واقرب شاهد على ذلك تجمع الدهن حول القلب وعرقلة حركتيهما يفضي الى المرض المعروف باسم الخفقان الدهني . والظاهر ايضاً ان السمان الشديدي السمن يفقدون مضاء الذهن الا ان لذلك شواذ مشهورة

والمعروف بوجه عام ان المادة التي يتألف منها بدن السمين ضعيفة سخيفة واقل ما يقال في السمان انهم عرضة للاصابة بالامراض الحادة كالتحاف ولكن التحاف اقدر منهم على احتمال الاصابة . وربما افادت الحمّى او الامراض الشديدة القصيرة المدة السمان لانها تذهب بما في اجسامهم من فضلة الدهن التي تزيد على حاجتها فتساعدهم بذلك على استخدام الوسائل المتعددة لمنع تجمع الفضول الدهنية مرة ثانية . والسمان اكثر عرضة من النحاف للنقرس والبول السكري لان هذين المرضين نتيجة ضعف عملية التأكسد في الجسم كالسمن . وكثير من امراض الجلد كالاكزيما تصيب السمان اكثر مما تصيب النحاف

وقد توسل الناس بوسائل شتى لتقليل السمن كالفصد والكيّ والاكثار من شرب المسهل والجوع والتفنن في الحمامات بين حارة وباردة ومتتابعة وتناول ما لا يحصى من العقاقير ولكن ذلك كله لم يأتِ بالغرض المرموم في غالب الاحيان . ومما وصفوه لاذابة شحم الجسم شرب الخلّ حتى لقد زعموا ان قائداً مشهوراً لسمنه اسمه مركيز كورتونا اكثر من شرب الخلّ حتى فقد جميع دهنه وتكوّن بين جلده وهيكله فراغ كبير مكّنه من طيّ جلده على جسمه والالتحاف به كما يلتحف بالرداء على ان نتيجة مثل هذه دليل على عظم الضرر الذي نال جسمه وخصوصاً جهازه الهضمي من الافراط في شرب الخلّ اذ ليس ثمة الل دليل على

ان الخل يؤثر راساً في ازالة الدهن وكل ما يعرف عنهُ ان الافراط في تناوله يضرُّ بالصحة

ومما وصفوهُ لعلاج السمن ماء البوتاس بناء على ما بين القلويات والدهن من الالفة الكيماوية الشديدة فحيثما وجد القلويُّ الدهنَ طلبهُ بشراهة اما طريقة شربهِ فهي ان يؤخذ منهُ ملعقتان او ثلاث ملاعق صغيرة كل يوم مع قليل من اللبن وان يقتصر في الطعام على بعض المواد دون الاخرى وان يكثر من الرياضة البدنية . وكثيراً ما اتت هذه الوصفة بالنتيجة المرومة ولكن لا يصحُّ القول انها علاج وافٍ للسمن

واستعملوا لمعالجة السمن عقاقير مختلفة اشهرها مركبات يودور البوتاس . ومنها الحديد وقد جاء هذا بنتائج حسنة في معالجة السمن الناشئ عن فقر الدم في الشابات بوجه خاص . ومنها خلاصة الغدة الدرقية وهي ناجعة في الاوزيما المخاطية وفي حوادث السمن الذي يصحب هذا الداء على ما يظهر

على ان مسئلة تنظيم عادات المرء في طعامهِ ورياضتهِ ونومهِ اهم بكثير في معالجة السمن من شرب العقاقير الطبية . ففي سنة ١٨٦٣ ظهر منشور بعنوان « رسالة عن السمن الى الجمهور من وليم بانتنج » قصَّ فيهِ ما جرى لهُ من هذا القبيل فوصف اولاً اشتداد سمنهِ الى حدٍّ أن سبَّب لهُ تعباً والماً كثيراً وقال انهُ جرب كل عقار فلم يجدهِ التجريب نفعاً فوصف لهُ بعضهم الاقلاع بقدر ما يمكنهُ عن اكل المواد السكرية والنشوية والدهنية والاقلال من شرب السوائل والاقتصار على اكل اللحم والسمك والاثمار بكميات معتدلة وشرب شيء كل يوم من السوائل المضادة للحوامض . فجرى على هذه الوصفة فلم تنقض بضعة اسابيع حتى خف وزنهُ ٤٦ رطلاً وتحسنت صحتهُ تحسناً كثيراً . وهذا كثيرون حذوهُ فانتفعوا انتفاعهُ ولكن البعض اصيبوا باضرار عظيمة فاضطروا ان يمتنعوا عن هذا العلاج

وكثيرون من الاطباء يشيرون بوجوب العناية بامر الطعام اي باتخاذ هذا ونبذ ذاك وبان يؤخذ مع الماء العاديِّ يوماً بعد آخر حبوب من املاح فيشي وكنجن وقد نتج عن اتباع هذه الطريقة ازالة السمن في الغالب فضلاً عن انهُ يمكن اجراؤها عليها مدة طويلة من غير ان تؤذي الصحة . وعلى مثل هذا الاساس بنيت المعالجة المعروفة باسم علاج سلسبري ادخلها طبيب اميركيٌّ وخلاصتها الاقتصار على اكل اللحم الاحمر فيؤكل منهُ يومياً ثلاثة ارطال الى مدة اسبوع او عشرة ايام ويكون اكلهُ مسلوقاً او مقلوًّا على حسب ذوق الآكل وفي ثلاث وجبات يسبق كل وجبة منها شرب جرعة كبيرة مقدار رطل من الماء الساخن . وبعد انقضاء الاسبوع يعود المعالج الى طعامهِ العادي ولكنهُ يمتنع عن اكل

بعض المواد . وهذه الطريقة تنجع في الغالب ولكنها تضرّ الذين فيهم ميل الى النقرس او المصابين بمرض بريط

وهناك طريقة اخرى سمّيها طريقة « شروط » ادخلها فلاح المانيّ فسميت باسمهِ . ومآلها اكل الخبز القديم وشرب قدر معلوم من الماء وهي بمثابة تجويع المعالج وقد نجحت نجاحاً عظيماً ولكن لا يستطيع الانتفاع بها الاّ اقوياء البنية

وفي اوربا حمامات كثيرة طبيعية لعلاج السمّان ولكن يقال بوجه عامّ ان نجاح العلاج فيها قائم باتباع المعالجين الوصايا التي يوصون بها اتباعاً دقيقاً . ولو فعلوا مثل ذلك في منازلهم لنالهم فيها ما ينالهم في الحمامات . اما الاطعمة التي توصف للسمان فهي اللحم الاحمر والسمك والبكر باس والشوربة الخالية من الدهن ولحم الدجاج وسائر الطير والبيض والجبن والبقول الخضراء والاثمار واللبن الذي نزعت قشدتهُ . ويجب ان يمتنع عن شرب الكحول و يقلل شرب الشاي والقهوة . وليكن الطعام كما يأتي :

طعام الفطور — شاي بلا سكر ولا لبن . خبز محمّص اوقيتان . لحم احمر اوقية

طعام الغداء — شوربة نصف رطل . لحم احمر نصف رطل . بقول خضراء . خبز اوقية . كأس ماء او مخيض او خمر ممزوجة بماء

طعام العشاء — لحم بارد نصف رطل . خبز محمّص او بسكويت اوقية

ولتكن الرياضة كثيرة والملابس خفيفاً والطعام اقلّ مما يكفي المعالج . وليبكّر في نومهِ ولتكن ساعات راحتهِ في اليوم سبع ساعات او ثمانياً في الاكثر . وليمتنع عن النوم نهاراً . وليغتسل بالماء الحار من آن الى آن على مثال الحمامات التركية

عمر الذباب

قامت في اميركا حرب لمكافحة الذباب تخلصاً من اذاهُ وخصوصاً في فصل الصيف واعظم ما وجّه المكافحون همهم وهمتهم اليهِ في مكافحتهِ زيادة تقليلهِ في الربيع بدعوى ان ذلك يقلل نسلهُ في الصيف . وقد بنيت هذه الدعوى على فكرة فاسدة فحواها ان المدة التي تمرّ على الذبابة بين بلوغها وبيضها البيض اطول مما هي حقيقة . ويؤخذ من بعض التجارب ان اقصر مدة بين البلوغ والبيض ٣ ½ يوم والمدة المعتادة بين اربعة ايام وخمسة . وقد حبست ٣٠٠٠ ذبابة في مكان فوجد ان متوسط عمر الواحدة منهن بلغ ١٩ يوماً وان اطولهن عمراً عاشت ٢٠ يوماً

تكرير الزيت ببرمنغنات البوتاس

يكررون زيت الزيتون والكتان والخشخاش والسمك وغيرها من اصناف الزيوت في اسبانيا بالطريقة الآتية : يؤخذ كيلو من بلورات برمنغنات البوتاس ويحل في عشرة لترات ماء فيخرج من ذلك سائل ارجواني غامق يمزج تدريجاً بثلاثين كيلو من الزيت الذي يراد تكريره ويحرك المزيج مهلاً رويداً عدة مرار على يومين . وفي نهاية اليومين يضاف اليه ٢ لتراً من الماء و ٥ لترات من الحامض الهدروكلوريك التجاري (روح الملح) على درجة ٢٠ الى ٢٢ بمقياس بومبه ثم يحرك المزيج بشدة . وبعد ذلك ببضعة ايام يصفى ماء الحامض من الزيت ويضاف الى الزيت ماء حار نقي لازالة ما علق به من الحامض ثم يصفى بصفاة فيها فحم حطب

اكل لحم الخنزير نيئاً

من المشهور ان اكل لحم الخنزير قد يورث الآكل داء التريخينا وهي دودة توجد في لحم الخنزير النيء فاذا دخلت جسم الانسان حية كانت شديدة الخطر عليه . وقد اصدرت مصلحة الزراعة الاميركية منشوراً حذرت فيه الناس من اكل لحم الخنزير نيئاً وخصوصاً الذين اعتادوا ذلك في الاعياد سواء كان ما يأكلونه لحماً مقدداً غير مطبوخ او سجقاً نيئاً مصنوعاً من لحم جديد او لحماً مدخناً . اما اذا عرض اللحم لحرارة درجتها ١٤٠ بمقياس فارنهيت فما فوق الى درجة الغليان او اكثر فان دود التريخينا يموت

وما يقال في لحم الخنزير يقال في لحم سائر الحيوانات التي يأكل الانسان لحمها والتي عرفت بانها تصديه ببعض الامراض من طريق اكل لحمه كالبقر والغنم والمعزى وغيرها

طريقة جديدة لعمل اللبن الصناعي

جاء في بعض الصحف العلمية ان انكليزياً اخذ امتيازاً بعمل اللبن الصناعي على الطريقة الآتية : يؤخذ مئة رطل من الماء النقي ويسخن الى درجة ٨٠ بميزان سنتغراد ثم يحل فيه ٤٠٠ قمحة من فوسفات البوتاس او الصودا ويضاف اليه من السكر ما يجعل السكر على نسبة ٤ ½ في المئة من المجموع بعد الانتهاء من تحضيره . ثم يضاف اليه ٤٠ رطلاً من خلاصة الفول السوداني وفول الصويا المبيض ويغلى المزيج بطريقة مخصوصة ويعالج بمستنبت من خميرة الحامض اللبنيك حتى يصير على درجة معينة من الحموضة ثم يعقم على درجة ٦٠ الى ٧٠ بميزان سنتغراد مدة ٢٠ دقيقة على القليل وبعد ذلك يبرد ويحرك بينما يضاف اليه ٠٫٥ الى ١٫٠ في المئة من الحامض الشمريك (الليمونيك)

وهذا اللبن يمكن تجميدهُ وبيعهُ في العلب او تجفيفهُ وسحقهُ وبيعهُ في الزجاجات . ويمكن عمل الجبن منهُ بزيادة حموضتهِ بالحامض اللبنيك

الملاريا والناس والبعوض

من المعلوم ان الحمّى الملارية قلما تظهر شتاء وان معظم فتكها يكون في غير فصل الشتاء من فصول السنة ولا يعلم اين تشتي مكروباتها أفي ابدان الناس ام ابدان البعوض ام الفريقين معاً . وقد ظهر من مباحث بعض العلماء الاميركيين في ولايات المسيبي بين شهري فبراير ويونيو من سنة ١٩١٥ ما يكشف النقاب عن سرّ هذه المسئلة فقد امسك في خلال تلك المدة اكثر من اثني بعوضة فشرّحها وفحصها فلم يجد فيها اثراً لمكروبات الملاريا ثم فحص ١١٨٤ شخصاً فوجد في ٤٩٣ منهم تلك المكروبات من غير ان يصابوا بالملاريا اي ان وظيفتهم تنقل المكروبات من شخص الى شخص . فتأيد بذلك رأي معظم الباحثين في هذا الموضوع وهو ان الانسان هو المسؤول عن بقاء الملاريا من سنة الى سنة لا البعوض

بيض العيد وفسادهُ

في ربيع سنة ١٩١٦ طلب مدير بوليس باريس من المسيو لنديه احد اعضاء مجلس الصحة فحص البيض المسلوق ليعلم كم بقي صالحاً للاكل وغرضهُ من ذلك السعي في سنّ قانون تعيّن فيهِ المدة التي يجوز بيع بيض العيد فيها . فوجد بعد البحث ان البيض التيّ اتى من البيض المسلوق . واستشهد المسيو لنديه على ذلك بما جرى لبعض الجنود الفرنسويين الذين في اسر الالمان . فان اهلهم ارسلوا اليهم بيضاً نيئاً وبيضاً مسلوقاً فيما ارسلوا من الهدايا اما التيء فوصل سليماً من الفساد واما المسلوق فوجد فاسداً لا يصلح للأكل

وخلاصة التجارب التي جرّبها انهُ جاء بعدد معلوم من البيض الجديد وسعهُ قسمين قسماً ابقاهُ نيئاً وقسماً أغلاهُ ربع ساعة ثم وضعهُ في مكان حرارتهُ بين ٢٨ و ٣٠ سنتغراد ففي فيهِ خمسين يوماً . وكان في خلال تلك المدة يأخذ بيضة اثر اخرى ويكسرها ليعلم مقدار ما تحويهِ من النتروجين والنشادر ومعلوم انهُ كلما زاد فسادها زاد مقدار هذا النتروجين فيها . فالبيضة الجديدة تحوي عادةً ١٠ ملیغرامات من النشادر في ١٠٠ غرام من مادتها وقد يهبط فيها الى ٦ ملیغرامات او يعلو الى ١٤ ملیغراماً . اما البيض الذي حفظ خمسين يوماً فوجد التيّ منهُ حاوياً ٢٦ ملیغراماً من النشادر ووجد المسلوق حاوياً ١٠٧ ملیغرامات اي انهُ بات فاسداً لا يصلح للاكل

باب الزراعة

تثبيت النيتروجين الجوي في جذور النباتات القرنية[1]

وجه العلماء ابحاثهم لحل مسألة تغذي النباتات القرنية بنيتروجين الجو فني سنة ١٨٨٦ وجد كل من العالمين هلريجل وولفورث بعد تجارب عديدة ان النباتات غير القرنية كالقمح والشعير مثلاً تحتاج في نموها الى النيترات فان لم تجدها وقف نموها وماتت وان النباتات القرنية كالبسلة والبرسيم لا يتوقف نموها على وجود النترات الارضية فمن اين لها الحصول على عنصر النيتروجين في هذه الحالة وهو ضروري لحياتها

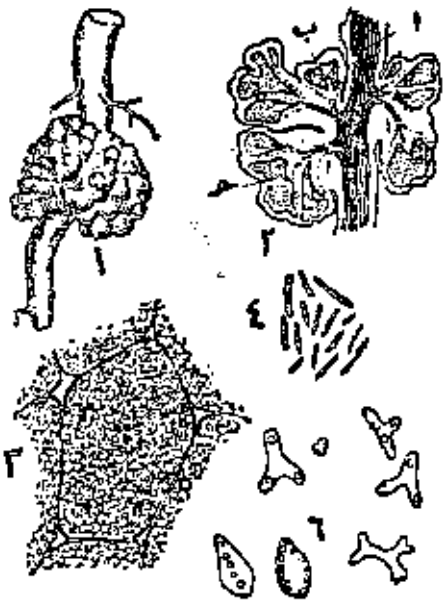

(شكل ١)

كان العالم فورونن Woronin في سنة ١٨٨٦ قد اشار الى ان جذور النباتات القرنية تحمل ادرانًا تشتمل على مكروبات (شكل[1]) ولكنهُ لم يبتدر لوظيفتها فظن هلريجل وولفورث ان من الممكن امتصاص هذه النباتات لنيتروجين الهواء بواسطة مكروبات الادران فتستغني بذلك عن النيترات الارضية وبعد تجارب دقيقة ثبت لها صحة هذا الظن حيث وجدا اولاً ان نبات البسلة المزروع في رمل معقم وغير محتوٍ على نيترات لا تكون على جذوره ادران وينمو ضعيفًا جدًّا مع انهُ ينمو كالنباتات غير القرنية

(١) من كتاب البكتيريولوجيا الزراعية لمؤلفهِ مصطفى افندي محمود الدمياطي

شرح شكل ١ (١) درنة على جذر نبات الترمس بحجمها الطبيعي (٢) قطاع طولي للجذر والدرنة معًا مكبرًا قليلاً (ا) مزمع الجذر الوعائية منتشعبة في اجزاء الدرنة (ب) و (ج) النسيج البكتيري بدي في الدرنة كما يشاهد تحت قوة المكرسكوب الصغرى (٣) احدى خلايا الدرنة مكبرة ١٥٠ مرة والمكروبات مكبرة ٦٠٠ مرة (٤) الشكل العادي لمكروبات الادران في الترمس (٥ و٦) شكل البكتيريا وبدايات في انواع من الفول والترمس وكل منها مكبرة ١٥٠٠ مرة

اذا اضيف الى الرمل نيترات . ووجدا ثانياً انهُ ينمو جيداً وتكون على جذوره ادران اذا اضيف الى الرمل المعقم المذكور مذوب من ارض خصبة . ووجد ثالثاً ان نموهُ في الرمل غير المعقم الذي لم يضف اليهِ مذوب من ارض خصبة ولا يحتوي على نيترات يختلف بعضهُ عن بعض في احوال يكون حسناً وفي احوال اخرى يكون غير حسن . فقررا ان تعقيم الرمل في الحالة الاولى جعل نبات البسلة لا تتكون على جذورهِ ادران لخلو الرمل من المكروبات بالتعقيم وبما انهُ لم تتوفر طريقة لامداد النبات المذكور بالنيترات الارضية او النيتروجين الجوي كان نموهُ ضعيفاً . وقررا ان نموهُ كالنباتات غير القرنية كان بسبب عدم حرمانهِ من النيترات لاضافتها الى الرمل هذا في الحالة الاولى اما في الحالة الثانية فقد كان نموهُ جيداً اذ حصل تكوين الادران من تلقيح الرمل بمكروبات مذوب الارض الخصبة فكان وجود الادران سبباً في حصول النبات على النيتروجين الجوي . واما في الحالة الثالثة فقد كان نمو النبات مختلفاً بين حسن وغير حسن لان الرمل وان لم يضف اليهِ مذوب من ارض خصبة ولم يحتوِ على نيترات الاَّ انهُ كان غير معقم وكون الرمل غير معقم يكفي لامداد النبات بنيتروجين الجو كثيراً او قليلاً

بعد ان وقف هلريجل وولفورث على علاقة مكروب الادران بالنباتات القرنية كما تقدم واثباتها حاول كثير من العلماء فصلهُ في البيئات العادية فلم يوفقوا وتمكن اخيراً بيرنك في سنة ٨٨٨ من فصلهِ واطلق عليهِ اسم بكتير يوم راديسيكولا Bacterium Radicicola وذلك بان زرعهُ في بيئة حمضية قليلاً ركبها من ٧ جرامات جلاتين و ٣٥ر٠ جرام اسبراجين و ٥ر٠ جرام سكر مذابة في ١٠٠ جرام من منقوع اوراق البسلة فكانت هذه البيئة صالحة لنموهِ وتكاثرهِ

البكتيريوم راديسيكولا — ووُصف البكتيريوم راديسيكولا بعد فصلهِ بانهُ مكروب عصوي الشكل يكون متحركاً او غير متحرك فالاول طولهُ ٩ر٠ مكرون[1] وعرضهُ ١٨ر٠ مكرون و يعتبر من اصغر المكروبات حجماً اما الثاني فيتراوح طولهُ بين ٤ — ٥ مكرون وعرضهُ ١ مكرون وهو بنوعيهِ المتحرك وغير المتحرك من المكروبات الادرالية حتماً يموت في حرارة تتراوح بين الدرجة ٦ — ٧٠ سنتيغراد ولا يكون جراثيم وجودهُ في الارض معروف الاَّ انهُ لم يستطع احد فصلهُ منها الى الآن بل يفصل عادة من الادران

(١) المكرون جزء من مليون جزء من المتر

تنوع مكروب الادران — وقد اختلف العلماء في مكروب الادران هل هو نوع واحد منتشر في الارض يسكن جذور النباتات القرنية على اختلاف انواعها ام هو انواع عديدة تختلف باختلاف النباتات التي تعيش في جذورها ففريق يحسبهُ نوعاً واحداً وفريق يحسبهُ انواعاً عديدة والظاهر يرجح رأي الفريق الثاني فقد ثبت بالتجارب ان نباتات البرسيم والبسلة والجلبان مثلاً اذا زرعت في رمل معقم لا تظهر على جذورها ادران ولكن عند ريها بمنقوع من ادران البسلة شوهد تكون الادران على جذور البسلة والجلبان فقط اي انها تتكون على جذور البرسيم ايضاً الاَّ انها تكون قليلة جداً ويفهم من هذا ان هناك نوعاً خاصاً بالبسلة والجلبان · وكذلك شوهد ان مكروب البرسيم لا تتكون ادرانهُ على جذور البسلة والجلبان اي العكس · هذا وقد توصل نوبي وهلتنر بما اجرياهُ من التجارب الى القول بامكان انتقال هذا المكروب من نبات الى آخر من النباتات القرنية بشرط ان تكون النباتات من جنس واحد فالمكروب الذي يعيش في جذور نوع من البرسيم يمكن نقلهُ الى جذور انواع اخرى منهُ ولا يمكن نقلهُ الى جذور الفصوليا والترمس والفول والبسلة من الاجناس الاخرى

تكون الادران — يطرق البكتيريوم رادسيكولا الى جذور النباتات القرنية من التربة ومن الخطإ ان يظن ان تطرقهُ اليها كان بواسطة البذور اذ البذور لا تحتوي عليهِ وهو يعمل في الجذور النابتة و يكوّن الادران · و يتم ذلك في نبات البسلة على رأي برازموفسكي باصابة في اطراف الشعيرات الجذرية (شكل ٣) يسببها المكروب المتحرك على الارجح فتكون مجموعة مكروبية منهُ داخل جدار كل شعيرة جذرية ثم تتكاثر المكروبات بسرعة عظيمة نظراً لتوفر مواد الغذاء داخل الشعيرات وتنتشر الى الداخل في اتجاه الجذر فيتكون عنها في كل شعيرة جذرية انبوبة مكروبية رفيعة تعرف « بخيط العدوى » Infection Thread لشبهها بالخيط · و يمتد خيط العدوى تدريجاً

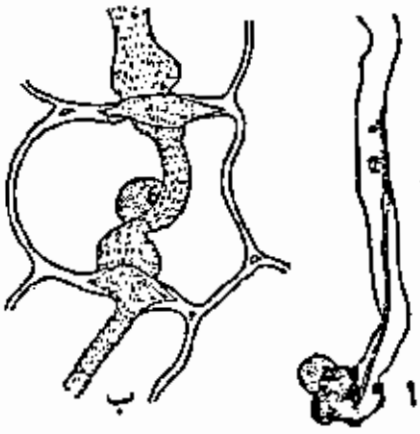

(شكل ٣)

شرح شكل ٣ (أ) طرف شعيرة جذرية من نبات البسلة تطرق اليها المكروب وكون فيه ما يعرف بخيط العدوى (ب) خلية من خلايا جذر البسلة تشاهد فيها النواة وخيط العدوى

الى الداخل حتى يثقب خلايا الجذر و يتفرع فيها فيحدث تضخم في بعض خلايا الجذر السطحية تكون منهُ الادران ذات النسيج البكتيرويدي Bacteroidal Tissue

على ان بعض العلماء ينكر تكون خيط العدوى على هذه الطريقة و يقول ان المكروبات لا دخل لها في ذلك وان خيط العدوي ينشأ من مادة النبات نفسهِ لا من المكروبات لتكونهِ من بروتوبلازم محاط بجدار سليلوزي كما هو الحال في خلايا النباتات الراقية ولو كان من المكروبات لوجب ان يكون جدارهُ مركباً من مادة بروتينية على ان الخلاف في ذلك لم ينتهِ بعد

ان مكروبات الادران بعد تطرقها عادة لخلايا الجذور تحيط نفسها بمادة لزجة و بعد ان يكون شكلها عصويًّا لا تلبث طويلاً حتى يصير شكلها كحرف Y في الانكليزي فتسمى حينئذٍ بكتيرويدات وهذه البكتيرويدات هي التي تمثل نيتروجين الجو وتثبتهُ في جذور النباتات القرنية ومن عادتها ان تكون نشطة قوية بادىء بدء ولكن بتقادم عهدها تفقد نشاطها وتذوب بواسطة انزيم يفرزهُ البروتوبلازم المجاور لها ثم تنقل مادتها تدريجاً من الجذور الى الازهار والثمار لتغذيتها و بعد ذلك يخلى ما بقي منها في الجذور فتخرج منهُ المكروبات الى الارض لتصيب نباتات اخرى وهكذا

تبادل النفع — تبادل مكروبات الادران النفع مع النباتات القرنية وهو ما يعبر عنهُ بالمعيشة المشتركة Symbiosis لان المكروبات المذكورة تعيش في جذور النباتات القرنية فتستمد منها ما تحتاج اليهِ من الغذاء وعلى الاخص المواد الكربوهيدراتية اللازمة لها في تمثيل النيتروجين الجوي وفي مقابل ذلك تستفيد النباتات القرنية من النيتروجين الذي يثبت في جذورها على ان بعض العلماء يعتبر هذه المكروبات منطفلة في بعض الاحيان تنتفع من النباتات ولا تنتفع النباتات منها بشيء

وقت تثبيت النيتروجين الجوي وكيفيتهُ — يحصل تثبيت النيتروجين الجوي عادة في وقت تكامل نمو البكتيرويدات في الجذور وهذا يوافق عادة وقت تكون الازهار والثمار فتنقل المركبات النيتروجينية من الادران بعد ذوبانها الى الازهار وقد استدل على ذلك بتجربة اجراها استكلازا حيث وجد ان ادران الترمس التي بلغت غاية نموها تحتوي على ٢٫٥ في المائة نيتروجين كان معظمهُ في حالة مواد بروتينية غير ذائبة وانها تحتوي على ٧٫١ في المائة فقط بعد تكون الازهار والثمار مباشرة

رأي مازيه وجولدنج — يرى مازيه وجولدنج انهُ ليس من الضروري لمكروبات الادران ان توبى في الطبيعة لتثبت النيتروجين الجوي بل يمكنها تثبيتهُ قليلاً اذا زرعت نقية في بيئات صناعية ولم تكن لها ادنى علاقة مع النباتات القرنية . والمدار في ذلك على ان يتوفر لديها الغذاء وعلى الخصوص المواد الكربوهيدراتية فتثبت النيتروجين . على ان العلماء يهتمون بحياتها في التربة وعلاقتها بالنباتات القرنية

تلقيح التربة — كانت الطريقة القديمة لتلقيح التربة تنحصر في اضافة كميات من التراب من حقل اشتهر بجودة حاصلاته القرنية كالفول والبرسيم الى التربة الضعيفة او الى التربة المراد زرعها بمحصول قرني لاول مرة والسبب في ذلك واضح اذ من المحسن عند زرع النباتات القرنية على الخصوص ان تكون التربة مشتملة على عدد كثير من مكروبات الادران المشهورة بفوائدها العظيمة للزراعة ولكن توبي وهلتنر وجها عنايتهما لهذه المسألة وارادا ان يطبقا نظريتهما المعروفة في تنوع مكروبات الادران بجعلها عملية محضة فتوفقا لاكتشاف مادة تعرف بالنيتراجين Nitragin صنعاها في معامل هُكست الكيماوية بالمانيا وهي عبارة عن المكروبات المذكورة مرباة بشكل نقي في الجلاتين اشارا باضافتها مع البذرة وقت زرعها او الى التربة كسماد . وقد صنعا من هذه المادة نحو الثانية اصناف كل صنف منها ملائم لمحصول قرني خاص فجعلا مثلاً نيتراجينا للبسلة وآخر للترمس وثالثاً للفول وهلم جرًّا . ويقال ان هذه الاصناف قد صادفت نجاحاً عظيماً بين المزارعين خصوصاً عند زرع المحاصيل القرنية في الاراضي البكر لاول مرة وفي الاراضي الضعيفة الاخرى التي لم تزرع فيها المحاصيل المذكورة منذ سنين عديدة . وعلى كل فلا يمكن القول بان النتائج كانت على العموم حسنة اذ ثبت في تجارب اجراها الدكتور مور بامريكا في سنة ١٩٠٤ ان النيتراجين لا يعطي الفائدة المطلوبة في كثير من الاحوال بسبب تأثير البيئة الجلاتينية في قوة نشاط المكروبات لطول مدة حفظه قبل الاستعمال . لذلك لجأ الدكتور المذكور الى طريقة اخرى وبي بها المكروبات في بيئة سائلة تشتمل على مقادير قليلة من المركبات النيتروجينية ثم غمر في هذه البيئة قطعاً من القطن لتتشبع بها المكروبات وبعد ذلك حفظها فامكنهُ بهذه الطريقة ان يحفظ قوة نشاط المكروبات سنة او اكثر قبل استخدامها في التلقيح . وقد اكتشفت مواد اخرى مثل النيترو بكترين Nitro-bacterine تلقح بها التربة لهذه الغاية تباع في الاسواق ويستخدمها المزارعون كالاولى ولكنها لا تزال موضع بحث العلماء ويحسن ان لا يلجأ تجربتها الاَّ في الاحوال الآتية : —

اولاً في ارض لم تسبق زراعتها بالحاصيل القرنية او زرعت فيها هذه الحاصيل فلم تنجح . ثانياً في ارض يكون الجير موجوداً فيها بكثرة . ثالثاً في ارض لم تتوفر فيها كمية النيتروجين الصالح للتغذية النباتية انتهى

الديدان الخيطية

زرع بعض المزارعين براس الخليج في فارسكور فدانين قمحاً من القمح الهندي وكانت زراعتها في مرأى العين تامية فاخذ بعض السنابل وفركها فرأى حبوباً سوداء غريبة الشكل

وقد ارسل الينا مكاتبنا هناك نموذجاً من هذه الحبوب فاذا هي سوداء صغيرة تشبه حبوب الحلبة في جرمها وحالما وقع نظرنا عليها علمنا انها مصابة بالدود الخيطي فنقعناها في الماء نحو ساعة من الزمان ثم اخرجنا قليلاً من المادة النشوية التي في حبة منها ووضعناهُ على زجاجة المكرسكوب مع نقطة ماء فاذا هو مملوء بالديدان الخيطية

وهذه الآفة شديدة الفتك جداً بالقمح وقد رأيناها في بعض القمح ووصفناها في مقتطف يوليو سنة ١٩١٥ وقدرنا ان في الحبة الواحدة من الديدان نحو مئة الف دودة

ورجاؤنا ان وزارة الزراعة تبادر حالاً الى هذا القمح المزروع وتحرقهُ كلهُ في غيطهِ قبل جمعهِ لئلا تنتشر هذه الآفة منهُ في البلاد

الاسمدة الصناعية ومكروبات التربة

جرب عالم فرنسوي تجارب عديدة ليعلم تأثير الاسمدة المعدنية في مكروبات التربة وهل تتحول المادة النتروجينية فيها الى نتروجين نشادري فوجد فصفات البوتاس في الحرارة العادية تزيد عدد المكروبات زيادة كبيرة وتزيد مقدار الامونيا (النشادر) اما تأثير فصفات الجير فاقل من ذلك . ورأى ان سلفات الجير او البوتاس تؤثر في التربة تأثيراً نافعاً ولكنهُ اقوى من تأثير الفصفات ثم ان فصفات البوتاس تجعل تكوُّن الامونيا اكثر من سلفات البوتاس بكثير . فاستدل من ذلك ان البوتاس لا يؤثر تأثيراً ظاهراً في حل النيتروجين من مركباتهِ الآلية لادخالهِ في النبات . وان بعض السبب في فعل الاسمدة المعدنية في التربة راجع الى انعاش المكروبات التي في التربة . وهذه المكروبات تدخل على التربة تغيرات كيماوية ذات شأن كبير في الزراعة فاذا اضيفت الاسمدة اليها انعشتها فزادت تلك التغيرات قوة

ذبابة الاثمار

تسطو على بساتين بلاد بحر الروم ذبابة يسمونها ذبابة الاثمار لشدة فتكها بالاثمار التي تنبت في تلك البساتين على انواعها . وقد سطت حديثاً على بساتين بقراس في بلاد اليونان فآذت اشجارها كثيراً ولاسيما البرتقال والطنجرين والخوخ والكمثرى والتفاح وتركت اشجار الليمون الحلو والحامض والسفرجل وشأنها . واشد فتكها بالطنجرين والخوخ والكمثرى فاتلفت مواسمها تماماً . والطنجرين هذا نوع من البرتقال الفاخر الصغير الحجم سمي بذلك لانهم جلبوا بذرتهُ من طنجه في المغرب الاقصى . وهذه الذبابة صغيرة جداً كاصغر انواع البعوض يطلق عليها في بلاد الشام اسم البرغش ويتولد منها دود التين ودود الشمش

موسم القطن المصري

بلغ الوارد من القطن الى الاسكندرية حتى ٢٠ ابريل ٤ ٧١٦ ٦٥٣ قنطاراً يقابل ذلك في العام الماضي ٤ ٤٨٥ ٤٢٦ وفي الذي قبلهُ ٦ ٠٠٨ ٩٩٨ وعليهِ لا ينتظر ان يزيد الموسم الحالي على الموسم الذي قبلهُ الا زيادة طفيفة خلافاً لما قدرتهُ وزارة الزراعة وشركة الحاصلات . بلغ الصادر حتى ٢٠ ابريل ٣ ٩٠ ٦٩٥ وكان في العام الماضي ٤ ٨ ٦ ٧٤٣ والذي قبلهُ ٥ ١٧٧ ٠٧١ ونقص الصادرات هذه السنة ناتج عن قلة وسائل الشحن ولا بدَّ من تغير الحال قريباً بعد ما وصلت المدمرات اليابانية الى البحر المتوسط وقد كانت الاسعار جيدة حوالي خمسين ريالاً تسليم مايو وحوالي ٤٢ ريالاً تسليم نوفمبر . وقد بلغ سعر البفاعة من السكلاريدي الجود ٦٠ ريالاً

وبلغ الوارد من البزرة ٣ ٧٣٧ ٨٩٣ اردبًا وكان في العام الماضي ٣ ٣٨٠ ٧٥ اردبًا والذي قبلهُ ٣ ٤٠١ ١٧١ اردبًا لكن الصادر هذا العام لم ينقص عن الصادر في العام الماضي كما نقص القطن فقد كان ١ ٦٦٦ ٦٥٧ اردبًا وفي العام الماضي ١ ٥٦٠ ٦٥٧ والذي قبلهُ ٢ ٦٩١ ٤٠٩ وزاد سعر البزرة زيادة كبيرة فبلغ ١٥٠ غرشاً من الصعيدي والفيومي و ١٤٨ غرشاً من المغيني و ١٢٤ من السكلاريدي

باب التقريظ والانتقاد

الجامعة الطبية المصرية

ليس من شك بعد أن العلم اقوى العوامل في ترقية الممالك ورفع شأن الانسان والمام بشيء من تاريخ الامم وحالة العمران منذ بدء التاريخ يرى ذلك رأي العين فلا يحتاج الى دليل او برهان فان اليونان تقلص مجدهم بتقلص ظل العلم بينهم والرومان علا شأنهم بعلو شأنه فلما اهملوه دالت دولتهم وضاع ملكهم والامم الراقية في هذا العصر بذخ مجدها وعلا كعبها بارتفاع منارهِ ونشر اعلامهِ

وادلّ شيء على درجة الامة من الارتقاء وميلها من التمدن الحقيقي حالة العلم فيها. ومن يقابل حالة هذه البلاد حينما كان العلم فيها رسماً دارساً واثراً طامساً بحالتها بعد ان قيّض الله لها الاسرة المحمدية العلوية فاحيت مواتهُ يرى كيف تدرّج ارتقاؤها بتدرج ارتقائهِ وكيف دبّت الحياة فيها منذ اخذ يدب ويخو وتُشادُ لهُ المعاهد وتُنشأ المدارس ويُنفق عليهِ بعض السخاء

وان القدس واجب على المتولّين زمام الاحكام في البلاد الذين القيت اليهم مقاليد امورها وعلى قادة الافكار فيها الذين يغارون على مصلحتها والذين حياتهم الادبية مرتبطة بحياتها ومستقبلهم كامّة راقية متوقف على مستقبلها تشجيعهُ بكل ما في وسعهم ونشرهُ بما لديهم من الوسائل وعضد القائمين بهِ الذين وقفوا حياتهم لخدمتهِ لا الاغضاء عنهم والحط من قيمة ما ضحّوا في خدمتهِ العيون بالسهاد واذابوا في سبيلهِ النفوس والاجساد

ولا يخفى ما للجرائد والمجلات من الاهمية في هذا المجال فانها رائد العلم ومن افضل وسائل انتشارهِ واقوى عوامل احيائهِ فتنشيطها تنشيطهُ وترغيب الامة فيها وتوبيخها على مطالعتها من اجلّ الاعمال واسهل السبل التي في وسع كل فرد خدمة وطنهِ وامتهِ بها. وقد انتبه الغربيون الى ذلك فسبقونا في هذا المضمار كما سبقونا في كثير غيرهِ فكثرت عندهم المجلات والجرائد حتى صار ما يطبع منها يباع بالملايين

وكما انقطع افرادهم الى مواضيع مخصوصة وقصروا درسهم عليها ليتهيأ لهم اتقانها والتبريز

فيها تخصصت مجلاتهم ايضاً حتى لم يبقَ فرع من فروع العلم الاَّ وفيهِ مجلات عديدة وقفت نفسها لخدمتهِ وفتحت ابوابها لنشر حقائقهِ وكل جديد فيهِ

اما نحن فاذا ليست مجلاتنا العلمية بجرائدنا السياسية والاخبارية كانت قليلة جدًّا والمجلات الاختصاصية تكاد تكون معدومة فاصبح جلّ اعتمادنا فيما نحتاج اليهِ من المعلومات في الامور الزراعية والصناعية والطبية مقصوراً على ما نراهُ في المجلاَّت الاوربية يتناولهُ الخاصة الذين لهم المام باللغات الاجنبية ويبقى بابهُ موصداً دون السواد الاعظم من القرّاء فضلاً عن ان لكل بلاد من بلاد الدنيا مميزات خاصة في تاريخها ومعيشة اهلها وتأثير الاحداث الجوّية فيها والامراض التي تنتابها بحيث لا تنطبق حاجات بلاد على حاجات بلاد اخرى الاَّ بعد التعديل الذي تقتضيهِ حالة تلك البلاد وامزجة اهلها وعاداتها سواء كان من حيث الامور الطبية او الصناعية او الزراعية او غير ذلك

ولولا بعض المجلات العلمية ولاسيما المقتطف اقدمها واوسعها والمباحث العلمية التي طرقها والابواب التي فتحها لاقفلام الكتاب في معظم الفروع العلمية وفي الصناعة والزراعة لكانت حالة البلاد العربية ولاسيما المصرية على غير ما نراها فيهِ من النهضة العلمية والتقدم الزراعي والصناعي نخدمتهُ للامة والبلاد لا تثمن . ولا ازيد على ذلك في الكلام عليهِ اذ ليس هذا موضعهُ بل اكتفي بهذه الاشارة

ولكن المقتطف وما يكتب فيهِ هو لعامة القراء اكثر مما هو لخاصتهم فهو قلَّما يطرق المواضيع الطبية البحتة التي لا يفهمها غير الطبيب الاَّ في الاحوال الاستثنائية بيانًا لاكتشاف ذي شأن في العلة او العلاج او تفصيلاً لمبدإ جديد في فروع الطب المختلفة يناقض المألوف بين الاطباء . وعليهِ فهو لا يفي بحاجة الطبيب ولا يسدّ الثلمة التي يفتقر اليها الطب والاطباء في هذا القطر

وعلم الطب وعملهُ من اهم دعائم العمران لان موضوعهُ شفاء الابدان عليلة ووقايتها وتقويتها صحيحة لكي لا تكون سبباً لانحطاط النفْل وسقمهِ بسقمها بل لتساعد على احيائهِ وانمائهِ وتمكنهِ من اكتشاف الغوامض والغوص وراء ما في الطبيعة من الاسرار

وقد خطا الطب في هذا العصر خطوة كبيرة في اوربا بحيث قلَّما يمرّ اسبوع لا يسمع فيهِ باكتشاف جديد او بحث مفيد واصبح الطبيب الذي لا يتبع حركتهُ ويطلّع على كل جديد امتدى اليهِ الاطباء في الغرب والشرق خطراً على البلاد والعباد . ولا سبيل الى هذا الاطلاع الآن الاَّ المجلات الطبية الاوربية ومنذ كما سبق القول مقصور نفعها على

الذين يحسنون لغة اجنبية وهب انهُ امكن بعض اطبائنا الاطلاع على ما فيها فانهم يبقون مفتقرين شديد الافتقار الى خبرة الاطباء الذين مارسوا الامراض التي تكاد تكون خاصة بهذه البلاد كمرض البلهارسيا او البول الدموي المنتشر فيها اكثر منهُ في سواها وكالانيميا المصرية او الانكلوستوما والبلاجرا والرمد الصديدي او التي تختلف اعراضها عما شابهها من الامراض في سوى هذه البلاد نظراً الى اختلاف الاقليم وامزجة السكان وعاداتهم وعرفوا عنها ما لم يعرفهُ الغريبون ولم يدوّن في كتاب . فان هذه الخبرة الخصوصية اذا لم يكن هناك مجلة خاصة تنشر فيها نتائجها للعلم بها اذ كانت ثابتة الفائدة او للبحث والتمحيص والنقد بمعارضتها بحوادث وقعت للغير تطوى في صدور الاطباء الذين عرفوها وتموت في الغالب بموتهم ويبقى الطب من حيث ماهية هذه الادواء الخاصة حيث كان وتمرّ الايام والاعوام دون ان يخطو خطوة الى الامام

وقد حاول اطبائنا غير مرة سدّ هذا النقص فانشأوا مجلة الطبيب في سوريا والطب الحديث وطبيب العائلة والشفاء والصحة في هذا القطر ولكن هذه المجلات كانت قصيرة الآجال لاسباب يطول شرحها وليس هذا موضعها فقضت وقضى معها ما كانت تُمثّل بهِ البلاد من كبير الآمال . ومذ انقطعت عن الصدور اخذ الاطباء المصريون والمتمصرون الذين يهمهم شأن الطب ولاسيما ما يتعلق منهُ بالادواء السالفة الذكر يشعرون بالحاجة الشديدة الى مجلة طبية يرجعون اليها لمعرفة كل جديد ولاسيما الحوادث المرضية التي تقع في هذا القطر والمشاهدات الخصوصية التي تتهيأ للذين يمارسون صناعة الطب فيهِ وما توفقوا اليهِ من انواع العلاج او طرق الوقاية الى غير ذلك . ودأبوا على هذه الحالة المؤلمة سنوات دون ان يحرّك احدهم ساكناً في اصلاح هذه الحال او يمدّ يداً لمعالجة هذا السبات العميق نظراً الى ما يكتنف الاقدام على انشاء مجلة طبية في هذا القطر من الصعوبات . وفي ذلك من العار ما فيهِ حتى دفعت الغيرة جماعة من أطباء مدرسة الطب ومستشفى القصر العيني والاطباء الشرعيين الى دفع هذا العار وخدمة الشرق بسدّ هذه الثلمة فاصدروا المجلة الطبية المصرية وعقدوا العزيمة على القيام بما يتطلبهُ انشاؤها من البحث والتنقيب ونشر كل جديد مفيد مذللين في ذلك كل ما يعترضهم من الصعاب . وقد ظهر العدد الاول منها حافلاً بالمقالات الطبية مصدّراً بمقدمة فيها كتبهُ العرب في الطب وبذكر مؤلفاتهم في هذه الصناعة مما كان نبراساً لاطباء الغرب في اول نشأتهم وذا اثر فعال في ترقية الطب

ويظهر ان القائمين بهذا المشروع عرفوا الداء المتأصل فينا نحن الشرقيين الذي يفتر كالسوس في حياتنا العلمية فاهملوا شخصيتهم ولم يشأوا الظهور او ان تختص المجلة باغراض مخصوصين منهم دون غيرهم فقالوا ان المجلة « ليست خاصة بافراد معدودين وانما هي مجلة الطب والاطباء جميعاً » وقد احسنوا صنعاً في ذلك حتى لا يبقى في سبيل النجاح عثرة وكي لا تُظن بهم الظنون وليعتقد الكل بصدق الغاية التي يرمون اليها ألا وهي خدمة هذا الوطن العزيز وخدمة الشرق باسره فيوازرونهم قلباً وقالباً . فالمجلة اذاً مجلة اطباء القطر المصري عامة لا مجلة فئة مخصوصة منهم وهي مفتوحة لاقلامهم وفرائد افكارهم والفضل في نجاحها يرجع اليهم كلهم

وقد ختمت المقدمة المشار اليها ببيان الاغراض التي حدت باصحاب هذه المجلة الافاضل الى انشائها . فالوا بعد الاشارة الى اللغة العربية ووقوف حركة التأليف بها واهمال ما فيها من الالفاظ الفنية ما نصهُ : —

« فنحن من هذه الوجهة امام ثلمة واسعة يجب ان نتضافر على سدها وحيال داء يجب ان نعالجهُ حتى يلتئم

« وهذا ما حملنا على انشاء هذه « المجلة الطبية المصرية » التي نرجو ان تكون وسيلة لتحقيق ثلاثة اغراض سياسية : —

الغرض الاول : هو ترقية لغة الطب وتخير الالفاظ الاصطلاحية الصحيحة وهذا يتطلب اموراً ثلاثة :

« اولاً — الرجوع الى كتب اللغة ففيها كثير من الالفاظ الاصطلاحية الفنية التي يجب ان ندخلها في كتاباتنا بدلاً من تلك الالفاظ العامية الدخيلة التي كثر شيوعها فافسدت اللغة وهبطت بها الى الحضيض

« ثانياً — الرجوع الى كتب الطب التي الفها العرب واقتباس ما وضعوهُ من الالفاظ الاصطلاحية

« ثالثاً — وضع الفاظ اصطلاحية جديدة للتعبير بها عما استحدث في الطب من الاكتشافات والامراض والادوية وغيرها لان قاموس اللغة الطبية يجب ان يضاف اليهِ كل يوم كلمات جديدة وفاقاً لسنة رقي الطب نفسهِ لان هذا العلم من شأنهِ الاَّ يقف عند حد خاص فهو دائماً سائر الى الامام فيجب على اللغة التي يراد جعلها واسطة لدرس العلوم الطبية ونشرها ان تمشي في هذا السبيل ايضاً حتى لا يقال عنها انها لا تصلح لدراسة علم

الطب ولا مريّة في ان اللغة العربية تفسح صدرها لذلك كما كان شأنها في عصر النهضة العلمية العربية وكما هو شأن سائر اللغات الحية الآن

الغرض الثاني للمجلة هو نشر الابحاث الطبية الخاصة بمصر لان هناك امراضاً اختصت بها بلادنا (كالبلهارسيا) مثلاً فواجب كل طبيب مصري حيالها يقضي بان يدرسها درساً خاصاً ويقرر لها احكاماً بناءً على شاهداته الشخصية لا ان يكون حكمهُ فيها حكماً تقليدياً فاتياً على ما كتبهُ الاجانب عنها لان الطب التقليدي لا يصلح في مثل هذه الاحوال

«و يوجد من جهة اخرى امراض يشاركنا الغرب فيها ولكنها تتشكل في مصر باشكال مباينة لما يعرفهُ عنها الاطباء اوربا مثل الحميات وهذا التباين ناشيء عن اختلاف الجو والاقليم والاغذية وغيرها

«فمثل هذه الامراض في حاجة الى درس خاص ومعالجة خاصة ولا ينفعها الطب التقليدي وحدهُ

«وخلاصة القول في هذا الموضوع ان المجلة تريد ان تقف صفحاتها على ترقية هذا النوع من الطب الذي يصلح ان يسمّى بالطب المصري والذي لا يستطيع الاطباء غير المصريين ان يدرسوهُ هذا الدرس لان الوسائل المؤدية لذلك غير متوفرة لديهم

«بقي علينا ان نتكلم عن الغرض الثالث لهذه المجلة: وهو غرض خلقي اجتماعي يراد بهِ الاحتفاظ بكرامة الطب باعتباره حرفة شريفة وبكرامة الاطباء باعتبارهم فئة لا يجوز ان ينسب الى احد افرادها امر معيب

«ليس للاطباء نظام يخضعون لهُ فيما لهُ مساس باعمال صناعتهم وقد دفع هذا النقص بعض الاطباء الى عمل امور لا يراها تتفق وكرامة الطب فمن ذلك ما ينشرونهُ عن انفسهم من الاعلانات المنافية لشرف الصناعة وما ينسبونهُ لبعض الادوية التي يركبونها من النتج التي لا يقبلها عقل سليم ولا يقول بها طبيب يعرف كيف يحترم نفسهُ ويحترم حرفتهُ

«فمثل هذه الامور حقيقة بان تشهر عليها حرب قلمية حتى يقلع عنها الذين اقترفوا امثالها

«ولنا رجاء في ان يؤدي عمل المجلة في هذا السبيل الى سن قانون يضع حدّاً لهذه الفوضى المعيبة

«و يدخل تحت هذا الغرض الاجتماعي نشر ما يؤدي الى توثيق عرى الاتحاد بين الاطباء وزيادة تضامنهم وتعاونهم وتحسين علاقاتهم بعضهم ببعض وتبادل واجب الاحترام بينهم ففي ذلك اكبر باعث على زيادة احترام الغير لهم وتقديرهم حق قدرهم

« هذه هي الاغراض الاساسية للمجلة

« وغني عن البيان انها لن تقتصر على ذلك بل ستحذو حذو المجلات الغربية في نشر الاكتشافات الحديثة والمشاهدات المفيدة وتعريب بعض الفصول والآراء التي تقضي مصلحة الطب بنقلها بقدر ما يسمح به حجم المجلة

« ونحن مستعدون لنشر كل ما يرسلهُ الينا حضرات الاطباء من الابحاث والمشاهدات ونرجو الاَّ يضن علينا زملاؤُنا بما يرونهُ حريًّا بالنشر لان المجلة ليست خاصة بافراد معدودين وانما هي مجلة الطب والاطباء جميعاً

« فيجب على كل طبيب ان يعنى بامرها ويعمل على ترقيتها ويسعى في ان تسير في طريق الكمال »

وفي هذا الجزء مقالة نفيسة في بلهارسيا الحالب للدكتور علي بك ابراهيم والدكتور انيس بك انسي وهي غزيرة المادة جزيلة الفائدة موضحة بالرسوم متضمنة مشاهدات عديدة في ادوار هذا المرض واشكاله المختلفة » وكفى بشهرة كاتبيها وطول ممارستهما للطب دليلاً على ما فيها من الفوائد الجديدة

وتليها مقالة في الحمل خارج الرحم للدكتور نجيب بك محفوظ تتضمن حوادث نادرة وملاحظات دقيقة . ويعد هاتين المقالتين ثلاث مشاهدات في معالجة مرض الطحال ذي الكرات الخماعية بالبنزين للدكتور عبد العزيز اسماعيل افندي وكلها من الاهمية بمكان

وهذا العدد من المجلة يقع في اثنتين وخمسين صفحة وهي بداءة حسنة في مثل هذا المشروع فاذا تلقاها اطباؤُنا بالترحيب وشجعها الادباء الذين يغارون على مصلحة البلاد واولو الامر الذين يهمهم تقدم الطب وتحسن الاحوال الصحية في القطر زاد حجمها وكثرت موادها وغزرت فوائدها وكان منها للبلاد نفع عميم ولكن اذا لقيت منهم ما لقيتهُ مجلتا الشفاء والصحة خشينا ان يكون مصيرها كمصيرهما واذا لا سمح الله وقعت هذه الملة لم يكن اللوم فيها على الذين قاموا بهذا المشروع الجليل اذ لا يتيسر ان توفق البلاد الى من هم اطول منهم باعًا واعلى همة واكثر تضحية بالنفس في خدمة الوطن ولا من احوالهم او الوسائط التي لهم والوسائل التي بين ايديهم والموارد التي يمكنهم الاستقاء منها في مدرسة الطب ومستشفى القصر العيني اكثر ملاءمة لبلوغ المجلة درجة ليس وراءها مطمح لناظر او زيادة لمستزيد

فعسى ان تُتلقى بالاقبال وتجد من الحكومة والامة المؤازرة التي تستحقها وتدعو اليها حالة البلاد والله ولي التوفيق

س . ش

كتاب الرهن

كتاب كبير الفائدة بل هو كتاب الشهر الفهُ حضرة محمود افندي فهمي يوسف من قضاة المحاكم الاهلية وضمنهُ كل ما يجب معرفتهُ عمَّا يتعلق بانواع الرهن وجعل الاصول متنًا وطبَّق عليها شروحًا مسهبة والحق الكلمات الاصطلاحية بما يقابلها من الالفاظ الفرنسوية حتى لا يبقى وجه للالتباس فاحسن في ذلك غاية الاحسان · مثال ذلك قولهُ في الكلام على الاموال الثابتة وما يمكن رهنهُ منها · الاموال الثابتة على اربعة انواع

(١) الاموال الثابتة بطبيعة حالها Par leur nature

(٢) الاموال الثابتة استعداداً او بصنع صانع Par destination

(٣) الاموال الثابتة عيناً من الشيء المتعلقة بهِ Par l'objet auquel ils s'appliquent

(٤) الاموال الثابتة بنص القانون Par la loi

ثم فصَّل كل نوع من هذه الانواع

ويظهر لنا ان هذا الكتاب ضروري لكل المحامين واصحاب الاطيان ولا يحسن ان تخلو منهُ مكتبة

ديوان العقاد

الجزء الثاني

عباس افندي محمود العقاد كاتب نجَّابة وشاعر نظمهُ جامع بين متانة الشعر القديم وسلاسة الجديد ويظهر لنا كان اطِّلاعهُ على منظومات الاوربيين في لغتهم بعد ما تخرَّج في مختلف العلوم الطبيعية والاجتماعية سهَّل على قريحتهِ الاتيان بمعانٍ جديدة · وقد افتتح هذا الجزء من ديوانهِ بمقدمة ناقض فيها من قال ان الشعر من الاعيب الصبيان التي لا تليق بعصرنا واستشهد على نقض هذا القول بما قالهُ شكسبير موغو في كتابهِ عن شكسبير حيث قال « ينادي كثير من الناس في ايامنا هذه بان الشعر قد ادبر زمانهُ · فما اغرب هذا القول .... كأن هؤلاء القوم يقولون ان الورد لن ينبت بعدُ وان الربيع اسعد آخر انفاسهِ وان الشمس كفت عن الشروق وانك تجول في مروج الارض فلا تصادف فيها فراشة طائرة وان القمر لا ينظر لهُ ضياءً بعد اليوم والبلبل لا يغرِّد والاسد لا يزمجر والنسر لا يحوِّم في الفضاء » الخ

والمقدمة حافلة بالادلة على ان الشعر حي لا يموت الاَّ اذا اتلفت بواعثهُ من الطبيعة او اذا عمي الناس عن رؤيتها او صمَّت آذانهم عن سماعها . وعندنا ان سوق الشعر تكسد ولو بقي حيًّا اذا نطق الشعراء بكلام لا يفهمهُ الجمهور فلا يحرك اشجانهم وهذا ما يجب على شعرائنا ان يتجاموهُ

ويمتاز هذا الديوان بان ناظمهُ اضاف الى بعض قصائدهِ شيئاً من النثر توطئة لها فزاد معانيها وضوحاً كما ترى في القصائد التالية وهي هيكل ادفو . شبان مصر . الكون والحياة . الدنيا الميتة . المتنبي المجهول . وقد ختم هذا الجزء بقصيدة عصماء ارسلها الى الشبان بالغ فيها في التنديد والتثريب ولكنهُ ضمنها كثيراً من الحكم من ذلك قولهُ

شبان مصر اسمعوني لناصح ... منكم فانشد بينكم اشعاري
انتم خلاصتها فليس لغيركم ... يتوجهُ الخلصاء بالانذار
للمرء اعمارٌ عداد عهودهِ ... وهي الشبيبة انفس الاعمار
وشبيبة الاقوام في شبانها ... ابدَ الزمان جديدة التكرار
فاذا سميتم فالبلاد فتيةٌ ... واذا وليتم فهي في إدبار
من لم يبع بالجد ذخر حياتهِ ... باع الخلود بابخس الاسعار

الى ان قال

العلم ما كشف الحقائق نورهُ ... واراك كيف يكون صنع الباري
والعلم ما نفض الكرى عن أهلهِ ... فاقام بعد الليل ضوء نهار
والعلم نار في القلوب كانهُ ... حر الهجيرة لا سنى الاقطار
والعلم علم الكون في صفحاتهِ ... لا في قراطيس ولا طومار
والعلم وصف الله فاعلم تستطع ... تصريف ما في الكون من اسرار
فاذا درستم في الكتاب فحققوا ... مصداقهُ في حكمة القهار

***

يا من يقول لمصر من شبانها ... لبيك حين تقول مصر بدار
فوحق مصر ما بمصر حاجة ... الاَّ الى العزمات والايثار
فتخلقوا فالخلق اوثق ما ابتنى ... بانٍ واجمل زينة وشعار
وتعلموا فالارض دار لم يعش ... فيها الجهول بسرها من دار
وثقوا بانفسكم فليس لباخسٍ ... مقدارهُ حظ من الاقدار

من لم يكذبه الزمان فما له في الناس او في الحادثات عمار
واذا تطاولت الرقاب تحيرتا فحذار من خفض الرقاب حذار
ثبت القديم لكم بغير منازع فتداركوا المهدين بالآصار
ما غيّر الله السماء ولا الثرى والنيل في ارض الكنانة جار
والمجد كان ولا يزال غنيمة للعاملين اواخر الادهار

خريطة الممالك الاسلامية

عني حضرة الباحث المحقق امين بك واصف برسم هذه الخريطة البديعة ووضع معجم لها اي لاسماء الممالك الواردة في التواريخ القديمة وكتب الرحلات وقال في مقدمة هذا المعجم ما يأتي

« للمطالع في كتب التاريخ القديمة لابن خلدون وابن الأثير والطبري والمسعودي وابي الفداء وغيرهم حاجة كبرى لتعرُّف مواقع الاقاليم والبلدان التي يرد ذكرها في هذه الاسفار الجليلة . فاذا رجع الى الخرائط العصرية لم يجد فيها طلبتهُ . لأن البلدان تتداول عليها الايام . فتغرب شمسها بشروق شمس غيرها . و يعفو رسمها بمرور الاعوام . شأن الدهر وتقلباته . وحوادثه ودوراته . لذلك وضعت هذه الخريطة التاريخية للممالك الاسلامية وهذا المعجم الوجيز . لأن المعاجم العصرية لا تذكر ما كان . والمعاجم القديمة لا تدل على ما هو الآن . وقد صرفتُ عناية خاصة في ضبط الاعلام معتمداً في ذلك على ما حققهُ الثقات من اهل العلم كياقوت وابي الفداء والفيروزابادي وغيرهم . والله تعالى ولي التوفيق »

وقد اثبت في هذا المعجم اسماء بعض الاماكن بالحروف الافرنجية فاحسن في ذلك غاية الاحسان

والخريطة خاصة بالبلدان التي فتحها العرب في القرن السادس فتشمل بلاد العرب كلها والقطر المصري وطرابلس الغرب وتونس والجزائر والمغرب الاقصى واسبانيا والبرتغال وجانباً من فرنسا والجزائر الكبرى من بحر الروم كقبرس ورودس وكريت وسردينة وميورقة وبلاد الشام وفارس وارمينية وافغانستان وبلخستان وخوارزم وبلاد الصقد والشاش الى فرغانة وكشغر . وجيد لو الصقت هذه الخريطة على قماش ليسهل حفظها وجيد ايضاً لو وضعت فيها الاسماء الحديثة لهذه البلدان حيث تختلف عن الاسماء القديمة . واضيف الى اسم كل مدينة في المعجم طولها وعرضها بالدرجات والدقائق لكي يسهل الاستدلال على موقعها

الصبي

رواية ادبية فكاهية في الاخلاق والتربية العملية وضعتها الكاتبة الانكليزية الدائمة الصيت ماري كورلّي وهي من اشهر كاتبات الانكليز في هذا العصر وقل من يفوقها من الكتّاب . ولقد عني بتعريبها حضرة عبد العزيز افندي صدقي ولقدم لها مقدمة وجيزة ذكر فيها الغرض الذي رمى اليه في تعريبها قال

« عرّبتها لا لتكون تتمة لعدد ناقص ولا لتكون تفكهة لقرائها ولا لتكون مسرحاً لتمثل فيه الغرائب . ولكني عرّبتها لتملأ الفراغ الكبير الذي انتظر مثيلاتها زمناً طويلاً . فقد رأيت ذلك الفراغ خالياً فاردت ان املأ بعضهُ . اجل — اردت ان تكون هذه الرواية حادثة سعيدة في حياة الأسرة المصرية . ومنبّهة لها إلى امثل طرائق التربية العملية ففي رواية « الصبي » يجتلي القارئ سرّاً من اسرار شقاء الابناء . وفيها يرى موقف الجناة الابرياء

« ولولا ان مؤلفة الرواية لم تولد في الشرق ولم تختبر الحياة الشرقية ولم تخالط الشرقيين لظننت انها تصوّر حياة أسرة بعينها من الأسر الكثيرة الشقية في هذه الدنيا . ذلك ان الرواية تكشف الستار عن اعتلال التربية ذلك الاعتلال الذي هو في مردّ امره جناية عظيمة وإن لم يكن لهذه الجناية عقوبة مكتوبة في القانون

« الرواية تمثل والداً ووالدة لاخلاق لها . وولداً نشأ في هذا الوسط الموبوء نشأة هي النتيجة اللازمة لتلك المقدمة السيئة . فترى فيها ما للقدوة السيئة من الاثر السيئ في نفس الناشيء . وان معظم الشر من ستصغر الشرر . وان وظيفة الأبوّة او الأمومة إذا لم تؤدَّ كما ينبغي كانت مصدر شرّ يصعب او يتعذر او يستحيل تلافيه

« لقد رفعت مؤلفة الرواية الكاتبة الطائرة الصيت ماري كورلّي صوتها عالياً منبّهة من يتولى طفلاً الى اشل ما يجب ان يؤخذ به الطفل في طفولته الاولى حتى لا يكون في صباهُ خزياً للصبا ولا في شبابهِ معرّةً للشباب

« فالرواية من هذه الجهة وهي كل شيء مثلٌ سائر . بل صورة حية من صور النقص يتميز به الكمال . إذ هي ترمي إلى إقامة دعم التربية الصحيحة على امتن اساس

« ففيها العبر الواضحة والعظات البيّنة تستنتج من مناظر القدوة السيئة وترك ازمّة الولدان في ايديهم وسوء اختيار المربية والرفيق والوسط وجعل امر الحياة بعد ذلك موكولاً الى المصادفة وحدها

« وسيُلهي القارئ لها بكثير من الخير وكثير من الشرّ معاً . ويرى صور في الفضيلة والرذيلة متقابلتين . ويسير منها في خميلة فيحاء ومفازة جرداء »

جامع احمد بن طولون

محاضرة القاها حضرة يوسف افندي احمد المفتش بلجنة حفظ الآثار العربية بوزارة الاوقاف قال فيها ان هذا الجامع هو ثالث جامع مبني لجمعة والجماعات شرع في بنائهِ الامير ابو العباس احمد بن طولون سنة ٢٦٣ للهجرة بناهُ لهُ مهندس مصري مسيحي و بلطهُ و بيضهُ وعمل فيهِ المنبر والمحراب والمناور الدقيقة الاشكال ونقش فيهِ سوراً وآيات القرآنية على ازار السقف وطيبهُ وفرشهُ وعلق فيهِ السلاسل والقناديل الحسان وحمل اليهِ صناديق المصاحف وعمل في مؤخرهِ من الجهة الغربية ميضأة وخزانة شراب (صيدلية) فيها جميع الشرابات والادوية وعمل منارة في مؤخرهِ . وبلغ جميع ما أنفق عليهِ ١٢٠ الف دينار او نحو سبعين الف جنيه وقد اوجد فيهِ هذا المهندس البارع العقود السنينية وهي الاولى من نوعها او الثانية والاولى عقود الشبابيك التي يصل منها الماء الى قاعة النيل (المقياس) الذي بني قبيل بناء الجامع بسنوات . وبناء هذا الجامع هو الوحيد الذي بقي منذ الف وسبعين سنة لم يغيرهُ كر الدهور

والمحاضرة مسهبة وفيها صور ورسوم كثيرة من رسوم الجامع قبل ترميمهِ وبعدهُ . وهذا لو اضاف اليها المؤلف وصفاً لكل المساجد والمباني العربية القديمة وجمع ذلك في كتاب واحد

الدروس الصحية

هو احد الكتب الطبية المفيدة الكثيرة التي يصدرها حضرة الدكتور محمد عبد الحميد بك طبيب مستشفى قليوب وقد قال في مقدمتهِ انهُ ضمنهُ ثلاثين درساً في مبادئ علم الصحة وجعلهُ للتلاميذ الذين بلغوا العاشرة من سنهم ووعد ان يتبعهُ بثانٍ للذين بلغوا الثانية عشرة و بثالث للذين بلغوا الرابعة عشرة . ومن مواضيع دروس هذا الجزء جسم الانسان وسائر ما يتعلق بهِ والاكل والشرب واللبس والهضم والتنفس والدم والاعصاب والحواس والتعب والراحة والعادات الخ . وفيهِ كثير من الرسوم

شعار الخضر

في الاحكام الشرعية الاسرائيلية للقرائين

عرّب هذا الكتاب من العبرانية وشرحهُ حضرة الاستاذ مراد فرج بك المحامي واهداهُ الى ولدهِ توفيق مراد افندي المحامي . وقدمهُ بمقدمة بين فيها الغرض من تعريبهِ وهو ان ينتفع بهِ القراؤن ولاسيما الذين لا يعرفون العبرية او لا يجيدونها وكثير ما هم

ومن مشتملات الكتاب المحارم المنصوص عليها . واختلاف العلماء ومسالك التحريم والعقد على المرأة وشروط المهر وانواعهُ وابن الحرام والزانية وزواج المتعة والزواج والطلاق والوقف والهبة والميراث وما شاكل ذلك من المسائل الشرعية

والكتاب سهل المأخذ جيد العبارة حسن الطبع يستحق معربهُ عليهِ الثناء الوافر

المجلة السلفية

مجلة ادبية اخلاقية تاريخية اجتماعية تصدر مرة كل شهر لحضرة صاحبها ومديرها عبد الفتاح افندي تللان . وفي الجزء الثالث الذي صدر في ابريل فصول من قيد الناظر في جيد الخاطر اكثرها في طلب العلم وفيهِ ايضاً فصل من كتاب الموازنة بين الطائيين اي ابي تمام والبحتري وهو مما لم يطبع قبلاً في مطبعة الجوائب . وحبذا لو قام في هذا العصر رجل كالآمدي صاحب هذا الكتاب وانتقد اشعار المعاصرين لكي يقل الركيك منها

الارشادات لداخلي الامتحانات

كتاب صغير الحجم كبير النفع وضعهُ حضرة الاستاذ محمد افندي سعيد احمدين ارشاداً للتلامذة حينما يدخلون دور الامتحان فاشار عليهم بما يحسن بهم ان يتبعوهُ في الاجابة عن المسائل التي يُسألونها في كل علم ياتيّاً ذلك على ما عملهُ بالاختبار الطويل . وستكون منهُ فائدة كبيرة لتلامذة المدارس ليقل خطاؤهم ويكثر صوابهم

القول الانفس

في كفاية الكتاب المقدس

جمعهُ حضرة منسى القمص وضمنهُ ادلة كثيرة من اقوال ايمة اللاهوتيين والمفسرين على ان الكتاب المقدس الذي بين ايدينا اي العهدين القديم والجديد يشمل كل الاسفار الموحى بها وهو كافٍ لكل ما يحتاج اليهِ المسيحي ديناً

اجوبة تمارين الجبر الابتدائي

اصدر حضرة لبيب افندي نظريف مهندس شركة الري المصرية جزئين فيهما اجوبة المسائل الواردة في كتاب الجبر الابتدائي تأليف هول وفايث

الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر مايو

	يوم	ساعة	دقيقة	
البدر	٧	٤	٤٣	صباحاً
الربع الاخير	١٤	٣	٤٨	«
الهلال	٢١	٢	٤٧	«
الربع الاول	٢٩	١	٣٣	«
القمر في الحضيض	١٣	٨	٣٦	مساء
« « الاوج	٢٧	١١	٢٤	«

السيارات

عطارد — يكون كوكب مساء في اول الشهر ثم يصبح كوكب صباح في آخره

الزهرة — لا تشاهد في اول الشهر ثم تمسي كوكب مساء في آخره

المريخ — يكون كوكب صباح

المشتري — لا يشاهد في اول الشهر ثم يصبح كوكب صباح في آخره

زحل — يغرب نحو الساعة ١١ مساء

اصباغ الانيلين في الجراحة

اشتهرت المانيا باستخراج مقادير كبيرة من اصباغ الانيلين على انواعها حتى عدت هذه الاصباغ من اعظم الصادرات الالمانية. فلما نشبت الحرب الحاضرة وانقطع اصدارها بسبب الحصر البحري افضى ذلك الى بوار صناعة الصباغة في كثير من البلاد وتراكم الاصباغ في المانيا. وقد جاء في السينتفك اميركان ان جراحاً اسمهُ بومان يستعمل هذه الاصباغ في صناعتهِ وانهُ عالج بها حتى الآن جراح ٤٠٠ مريض عمل لهم العمليات الجراحية فشفوا كلهم. ومزيتها انها تقتل المكروبات الضارة وتوقف نمو انواعها المؤذية وان قوتها المضادة للفساد اعظم بكثير من قوة مضادات الفساد المعروفة. ومن مزاياها ايضاً انها سريعة الامتصاص ولا تخشى الزلال وليست سامة اذا استعملت بكميات صغيرة. ولما كانت سريعة الفتك بالمكروبات فانها

توقف تكوّن المدّة حالاً وتلأم الجروح وتخفض الحرارة . وكان الجرّاح المذكور يستعمل في بادىء الامر الميثلين الازرق ثم عدل عنهُ الى الميثلين البنفسجي سواء كان ذلك في معالجة الحروق او الجروح او الخدوش او الدمامل او غيرها من آفات الجلد . كان يدهنها بمحلول من هذا الصبغ على نسبة ٤ في المئة فكان الجرح يلتئم سريعاً في الغالب . والجروح التي يسهل الوصول اليها كان يذرُّ عليها الصباغ مسحوقاً اما الجروح العميقة فكان يعالجها بمحلول من الصباغ يصنع منهُ معجون يضاف اليهِ بعض الغليسرين والكحول و يدهن بهِ الجرح . وان لم تفر هذه الطريقة بالمرام كان يأخذ نسالة و يغمسها في محلول الصبغ ثم ينزلها في ثنايا الجرح . او كان يرش الجرح بالمحلول بواسطة مُلية اذا كان قعرهُ عميقاً متشعباً ولم يمكن الوصول اليهِ بالطريقة السابقة . فكان القيح ينشف والروائح الكريهة تنقطع بعد استعمال الصباغ مرة او مرتين

العود الى الدروع

اشار كاتب في مجلة « لاناتور » الفرنسوية باعادة عهد الدروع القديمة في الحروب الحديثة وحجتهُ في ذلك اولاً ان ٧٥ في المئة من الجروح في حرب الخنادق ناشئة عن اصابات بمقذوفات قليلة السرعة بحيث يمكن الدروع الخفيفة اتقاؤها وثانياً ان هذه المقذوفات اشدّ خطراً على الاجسام من المقذوفات ذات السرعة الكثيرة لان هذه تصيب الجسم فتخرقهُ ثم تخرج منهُ . واما المقذوفات القليلة السرعة فتبقى فيهِ وتفسدهُ . وثالثاً ان موت الجنود من الجروح التي تصيب رؤوسهم قلّ قلة عظيمة بعد استعمال خوذ الفولاذ (الصلب)

وقد بسط الكاتب رأيهُ موضحاً اياهُ بالرسوم والصور فمن هذه الرسوم درع لقي الصدر والعنق واخرى لقي البطن وتتفرع منها واقيات للوجه والكتفين والرفقين والركبتين . فاذا نظرنا الى هذا الاقتراح من الوجهة الجراحية ما وجدنا عليهِ غباراً فان الجندي المتوسط القامة الذي يواجه العدو في ميدان القتال يكون هدفاً مساحتهُ ٢٧٤٠ سنتمتراً مربعاً . فالرأس والعنق ٩ في المئة من هذا الهدف . والصدر والبطن ٢٨ في المئة . والاطراف ٦٣ في المئة . بقي ان يبدي رجال العسكرية رأيهم في هذه الدروع و يقولوا هل تعوق حركات الجندي في ميدان القتال الى حدّ يرجح عندهُ ضررها على نفعها . فان كان ذلك انكروها والاّ اقرّوها

نقود الورق والعدوى

لما قلّت الفضة بسبب الحرب اصدر معظم الغرف التجارية الفرنسوية نقود ورق

التعامل بها من فرنكين الى صولديين (الصولدي او السو يساوي ٥ سنتيمات او مليمين) ولكن لم تكد الايدي تتداول هذه الاوراق حتى كانت تسود من كثرة الوسخ العالق بها وقد عن للحكومة المحلية في مدينة روان ان تطلب من مدير معملها الكيماوي فحص الاوراق كيماويًّا وبكتيريولوجيًّا لتعلم هل في تداولها خطر على صحة الجمهور فظهر من الفحص انهُ تجمع على هذه الاوراق بعد تداولها ثمانية ايام الى عشرة ٢٠ في المئة من زنتها وسخًا وان هذا الوسخ مؤلف من مواد دهنية ونشادرية وتروجينية وسكرية ومعدنية. وبعض هذه الاوراق تقع في الماء المقطر حتى زال بعض ما فيهِ من الوسخ ثم فحص الراسب بالكرسكوب فوجد حاويًا لكثير من مكروبات الامراض الشديدة الخطر والعدوى

سيارات مجهولة

يعتقد معظم الفلكيين بوجود سيَّار او اكثر وراء فلك نبتون ومن هؤلاء المسيو بورلي الفرنسوي من مرصد مرسيليا. وقد اهتم منذ مدة طويلة باكتشاف هذه السيارات مستعينًا عليها بتلسكوب من النوع الذي يفتش بهِ على المذنبات وهو تلسكوب يرى النجوم الى القدر الثاني عشر فلم يظفر منها بطائل. فارتأى لذلك ان هذه السيارات ان وجدت قد تكون من قدر اصغر وعليهِ اقترح ان يفتش عنها بتصوير مواقعها المظنونة ولكن تصويرها يختلف عن تصوير المذنبات مثلاً فانهُ لما كانت حركة المذنبات سريعة فان تصويرها يقتضي عرض الالواح الفوتغرافية مدة وجيزة. اما السيار المنشود واشباهه فان حركتها ابطأ من حركة نبتون ضرورة فان كانت سرعتها نصف سرعة نبتون فان حركتها الظاهرة تكون درجة واحدة فقط في السنة او نحو ١٠ ثوانٍ في اليوم

البندقية العادية والبندقية الآلية

يقال في وصف البنادق التي يستعملها الجنود في ميادين القتال الآن انها تصيب هدفًا قطرهُ قدمان عن بعد ٣٠٠٠ قدم. وقد اطلقها مشاهير الرماة الاميركيين في ميادين التمرين على اهداف قطرها ثلاث اقدام من بعد ٣٦٠٠ قدم فطاشت رصاصة واحدة من ١٥ رصاصة. وهي تقتل على بعد ميل

هذا ما تستطيع البندقية فعلهُ في ميادين التمرين البعيدة عن شوش الحروب الحقيقية. اما ما تستطيعهُ في ميادين القتال فيختلف كل الاختلاف عن الوصف المتقدم. فان اعظم ما عرف عن اصابة الجنود للاهداف هناك كان في حرب البوير عند ما كان الانكليز يحاولون عبور نهر توجلا. فقد

كان البوير يطلقون بنادقهم من خنادق معدة من قبل احسن اعداد على اهداف ليست ابعادها من قبل بالضبط والدقة . وكانت الجنود الانكليزية تزحف متراصة في ارض مكشوفة ومع ذلك اصابت رصاصة واحدة من ٧٠٠ رصاصة

واعظم مثال لاخطاء المرمى كان عند اطلاق الجنود المغربية بنادقها على القلعة التي كان الريسولي ممتنعاً فيها في حرب المغرب الاقصى الاخيرة . فانهم اطلقوا ٨٠ الف رصاصة طاشت كلها ولم تصب واحدة منها

ولهذا السبب اخذوا في الحروب الحديثة ولاسيما الحرب الحاضرة يحلون البنادق الآلية محل بنادق المشاة . فان البندقية الآلية تطلق في الدقيقة الواحدة من الرصاص ما يطلقهُ ٦٠ جندياً ولا تحتاج في ادارتها الا الى ثلاثة رجال او اربعة . واذا كان مطلقها بارعاً امكنهُ تصويبها الى الغرض بدقة لا يحلم بها مطلق البندقية العادية . وهي بندقية تنصب على قائمة وتحشى من خزنتها بسلسلة من الخرطوش وتطلق بادارة عجلة او ضغط كباسة مثلث من الرصاص في الدقيقة

ثلج المريخ وكلف الشمس

كان المسيو انتونيادي الفلكي المعروف أعلن انهُ وجد علاقة ظاهرة بين المدة التي تكثر فيها كلف الشمس ووجود الثلج في المريخ . ثم بسط ذلك بقولهِ انهُ كلما كانت كلف الشمس كبيرة وعديدة اسرع ذوبان الثلج في قطبي المريخ وكلما كانت صغيرة وقليلة أبطأ ذوبانهُ . وقد ابدت الارصاد المعروفة هذا القول ما عدا ارصاد سنة ١٨٦٢ وسنة ١٨٧٧ وقد علل هذا الشذوذ بقولهِ انهُ ربما حدثت على سطح المريخ في تينك السنتين حوادث ضادت تأثير الاشعاع الشمسي فلم يذب الثلج فيهما من قطبي المريخ مع كثرة كلف الشمس وكبرها

مناظر السينما والبصر

في اميركا جمعية اسمها الجمعية الوطنية لمنع العمى . بحثت في تأثير مناظر الصور المتحركة في البصر فاتضح لها اولاً ان الصور المتحركة غير الواضحة او غير المتقنة في صناعتها قد تؤذي البصر . وثانياً ان اجهاد العيون في تتبع الصور المتحركة قد يكون كاشفاً لها اي انهُ يُشعر الناظر بعيب في عينيهِ لم يكن يشعر بهِ لولا الصور المتحركة وبالتالي يحملهُ على العناية بهما واصلاح خللها . ومن رأي الجمعية انهُ اذا كان لابدَّ من رؤية الصور المتحركة فخير ان يكون الجلوس في وسط قاعة الصور على بعد ٢٠ قدماً من الصور فاكثر . وكلما ابتعد الناظر الى الوراء كان ذلك اسلم لعينيهِ

الكرم الاميركي والعلم

يراد انشاء مدرسة جديدة لتعليم العلوم الطبية في جامعة شيكاغو باميركا قدّرت نفقاتها بثمانية ملايين ريال دفعت ادارة الجامعة مليونين منها ودفع المستر ركفلر مليوناً وديوان التعليم مليوناً فصار مجموع ما دفعهُ ركفلر لهذه الجامعة ٣٧ مليون ريال او سبعة ملايين ونصف مليون من الجنيهات. ويبقى لاتمام نفقات المدرسة الطبية اربعة ملايين ريال عزمت ادارة الجامعة ان تقدم منها ارضاً للبناء تساوي نصف مليون ريال وطلبت من الكرماء ثلاثة ملايين ونصف مليون من الريالات حتى يتم المبلغ المطلوب، وستكون هذه المدرسة من الطبقة الاولى بين المدارس الطبية في اميركا

ولم تكد رغبة الجامعة في انشاء هذه المدرسة تشتهر حتى جعلت الهبات ترد اليها فوهبها المستر فردرك روص ثلثماية الف ريال لاجل انشاء معمل ووهبها شخص آخر مجهول الاسم ٢٥٠٠٠٠ ريال. ووهبها غيرهُ هبات اخرى فصار مجموع الهبات في آخر العام الماضي ٤٠٠٠٠٠٠ ريال وفي اول هذا العام وهبتها عائلة البستانيين ١٠٠٠٠٠٠ ريال لانشاء مستشفى

واعطت جمعية كارنجي في نيويورك ١٠٣٨٥٠٠ ريال لمعهد كارنجي الصناعي في بتسبرج من ذلك ٩٥٦٠٠٠ ريال للمعهد نفسهِ و ٥٢٥٠٠ ريال لاصلاح معرض الفنون والمكتبة و ٣٠٠٠٠ لسائر النفقات فصار مجموع ما وهبهُ كارنجي لهذا المعهد ٢٨٠٠٠٠٠٠ ريال اي خمسة ملايين وستمائة الف جنيه

واوصت مسز هنري هاركنس بمليون ومئة الف ريال للاعمال النافعة ومن ذلك ٣٠٠٠٠٠٠ ريال لجامعة يايل يعطى ريعها رواتب للاساتذة

ووهب شخص مجهول جامعة بوستن ١٠٠٠٠٠٠ ريال تذكاراً للاستاذ اغسطس بك استاذ اليونانية فيها

ووهب شخص آخر مجهول كلية سكنجم باوهايو ١٥٠٠٠٠٠ ريال واوصى فرنس بلدون بمبلغ ٦٧٥٠٠٠ لجامعة منسنتي. ووهبت مس اناجي كلية فيلادلفيا الطبية ١٥٠٠٠٠٠ ريال ووهبها المستر دانيال بو ١٠٠٠٠٠٠ ريال ووهبت مسز رسل صاحبة مدرسة انا ولرد ٢٥٠٠٠٠ ريال

واوصى المستر جونس ارتشبلد بمبلغ ٥٠٠٠٠٠٠ ريال لجامعة سيراكوس

وعزم متخرجو جامعة هارفرد ان يجمعوا لها عشرة ملايين ريال

وتوفيت سيدة اسمها اليزابث جوسلن بولت فتركت لجامعة كليفورنيا ٢٠٠ الف ريال ينفق ريعها على منصب استاذ القانون

العلف من الخشب

لما قلّ علف المواشي في بلاد الالمان بسبب الحرب عمدوا الى شجر الزان وقطعوهُ وسحقوا خشبهُ سحقاً في معامل الورق حتى صار رَبًّا ناعماً جدًّا وغسلوهُ جيداً حتى لم يبقَ منهُ الاَّ جدران خلاياهُ اي مادة السلولوس وخلطوهُ بانواع اخرى من العلف وعلّفوا بهِ المواشي فاكلتهُ واغتذت بهِ . واطعموهُ للكلاب ايضاً مع قليل من اللحم فاكلتهُ واغتذت بهِ . ولكن يشترط في فائدتهِ ان يسحق سحقاً ناعماً جدًّا . ومن رأي بعض الالمان ان الانسان يستطيع ان يتغذى بدقيق الخشب اذا أُضيف الى دقيق القمح

فضل الآلات

في اميركا معمل لمركبات الاوتومبيل يستخدم ١٢ الف عامل يصنعون الف مركبة كلَّ يوم . ومعنى ذلك ان كلَّ ١٢ رجلاً يتمونَ مركبة واحدة في اليوم بأجرة ٨٥ ريالاً على فرض ان اجرة الواحد منهم ٥ ريالات في اليوم . ومعلوم انهم انما يتمونها بتعاونهم هم وسائر العمال وآلات العمل على العمل . ولو ترك هؤلاء السبعة عشر وشأنهم ما انتجوا مركبة واحدة في شهر . وهذا يبيّن عظم مقدار ما يقتصد الناس في الوقت والنفقة والعمل بتعاون الجماهير منهم تؤيدهم الآلات

سلّ المعدّنين

تكثر بين المعدّنين الاصابات بنوع من السلّ يعرف ايضاً باسم « سيليكوسز » اي الناشيء عن استنشاق غبار الحجارة ودقائق الرمل . وقد ظهر من تقرير اصدرتهُ مصلحة الصحة في بعض ولايات اميركا الكثيرة المناجم ان هذا الداء من ادواء العمال الذين يستخرجون المعادن وان كل عامل يتعرض لاستنشاق الغبار المذكور خمس سنوات متوالية يصاب بهِ في الدرجة الاولى منهُ والغالب ان يموت بهِ بعد عشر سنوات من اول تعرضهِ للغبار . والمظنون ان ٣٥ في المئة من المعدّنين في مقاطعة المعادن المشار اليها مصابون بهذا الداء

الامية في اميركا

يبلغ عدد الاميين في الولايات المتحدة الاميركية الذين سنهم فوق العاشرة خمسة ملايين ونصف مليون اي انهم نحو ثمانية في المئة من السكان

الغذاء في الفول السوداني

ظهر من البحث الكيماوي باميركا ان في الفول السوداني مقداراً كبيراً من المادة المسماة ديامين تتروجين وهي لازمة لغذاء الناس والحيوانات وقليلة في الحبوب

فهرس الجزء الخامس من المجلد الخمسين

صفحة

٤١٧ الحياة بعد الموت (مصوّرة)
٤٢٣ الثورة الروسية (مصوّرة)
٤٢٥ طرائف من ادب العرب · لنقيب
٤٣١ العدوى بالحيوانات
٤٣٩ الشيخوخة واماليُّ حيوية · للدكتور امين ابو خاطر
٤٤٥ في بادية الشام · لعز الدين آل علم الدين
٤٤٩ الجامعة الالمانية · للاستاذ ستار جوردان
٤٥٥ وزير الامبراطورية الالمانية
٤٦٤ القَدَرية والجبرية · لمحمد افندي حسين هيكل المحامي دكتور في الحقوق
٤٧٣ مصر منذ اربعمائة سنة · لديتري افندي نقولا
٤٨٠ اميركا والحرب (مصوّرة)

٤٨١ باب المراسلة والمناظرة * حول الاكوات · خلود في التجارب · اصلاح خطأ
٤٩٠ باب تدبير المنزل * الثمن · عمر الذباب · تكرير الزيت · برمنغنات البوتاس · اكل لحم الخنزير نيئاً · طريقة جديدة لعمل اللبن الصناعي · الملاريا والناس والهموض · بيض العث وفساده
٤٩٥ باب الزراعة * تثبيت النيتروجين الجوي في جذور النباتات الفرنية (مصورة) · الديدان الخيطية · الاسمدة الصناعية ومكروبات التربة · ذبابة الاثمار · موسم القطن المصري
٥٠٢ باب التقريظ والانتقاد * للجلة الدينية المصرية · كتاب الزمن · ديوان العقاد خريطة الممالك الاسلامية · الصبيُّ · جامع احمد ابن طولون · الدروس النحوية · شعار الخضر · المجلة السلفية · الارشادات لداخلي الامتحانات · القول الاعلى · اجوبة لمخترعين الجهر الابتدائي
٥١٤ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٥ نبذة

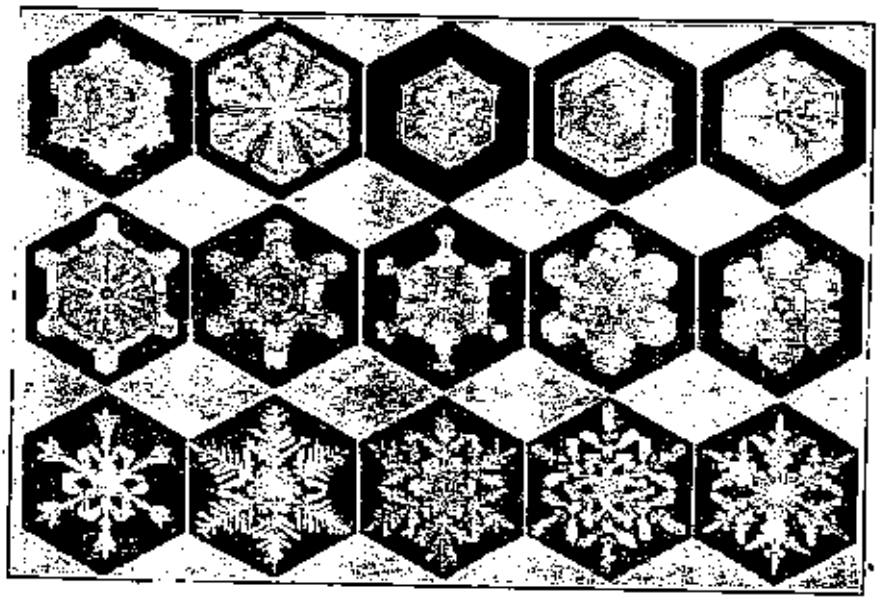

اشکال بلورات الثلج کا تری بالکر سکوب

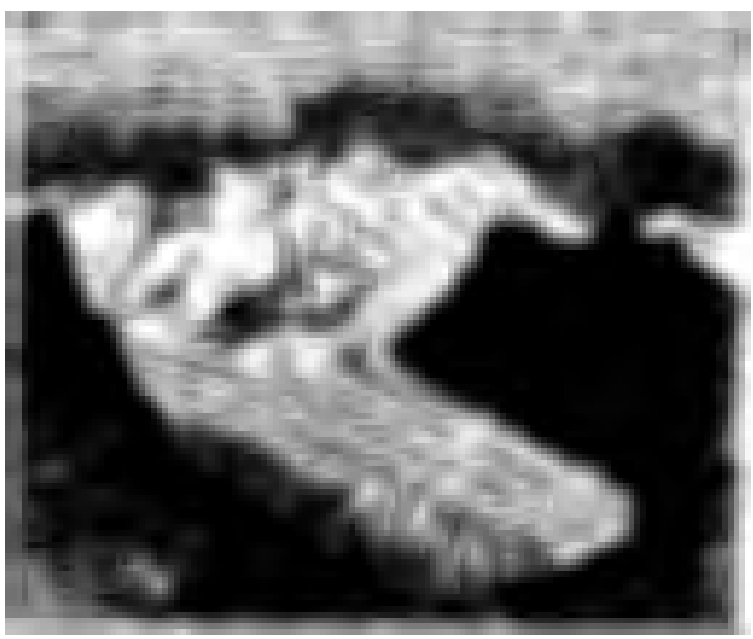

جو جدید مخدر من جبال لاتب

مقتطف یونیو ۹۱۷

امام الصفحة ۵۲